هی موجودة لك الان ان كنت من اهلها، و تتقلب فيها و تتناول من ثمارها و تلاقی حورها وقصورها، وكذلك جهنم موجودة لمن هو من اهلها، محيطة به تحرق جلده و تذيب شحمه، وهو يحترق بنيرانها، ويتعذب من حياتها وعقاربها، الا ان لذات الاخرة وآلامها غيرمحسوسة لخدر الطبيعة و سكر العقل، و بهذا الاصل يندفع انكار المنكرين لعذاب القبر كما سيجیء شرح ذلك وامثاله فی تفسير آيات تشرح احوال الاخرة.

و الغرض هيهنا ان القرآن مشحون بذكر الامثلة للامور التی حقايقها موجودة فی علم الله، و امثالها موجودة فی هذا العالم، مثل قوله تعالی: يدالله فوق ايديهم[١٢٤]، وقوله: وعلم بالقلم[١٢٥]، وقوله: اولئك كتب فی قلوبهم الايمان[١٢٦]، ومثل قوله صلی‌الله عليه وآله: قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن، او لاتری ان روح الاصبع هی القدرة والقوة علی سرعة التقليب، وحيث يكون قلب المؤمن بين لمة الملك و لمة الشيطان، كما ورد فی الحديث: هذا يغويه و ذاك يهديه، و الله سبحانه يقلب قلوب عباده كما تقلب انت الاشياء باصبعيك، فانظر كيف شارك نسبة الملكين المسخرين الی الله اصبعيك[١٢٧]، فی روح الاصبعية، و خالف فی الصورة، فاستخرج من هذا مانقل عنه صلی‌الله عليه و آله انه قال: ان الله خلق آدم علی صورته، فمهما عرفت الاصبع، امكنك الترقی الی اللوح و القلم و اليد واليمين والوجه والصورة من غيرنقص، ووجدت جميعها حقايق غير جسمانية، متمثلة بامثلة جسمانية، فتعلم ان روح القلم وحقيقته شیء يسطر به، فكل جوهر يسطر بواسطته نقوش العلوم الحقة فی الواح القلوب، فاحری به ان يكون هو القلم الحقيقی، اذ وجد فيه روح القلمية، ولم يعوزه شیء الا قالبه وصورته، وخصوصية المادة امر زايد فی حقيقة الشیء، و لذلك لاتوجد فی حده الحقيقی، اذ لكل شیء حد و حقيقة، وهی روحه و ملاك امره، فاذا اهتديت الی الارواح صرت روحانياً، و فتحت لك ابواب الجنان و عالم الملكوت، و كنت من اهل بيت القران، وهم اهل الله خاصة

١٢٤ـ فتح ١٠
١٢٥ـ علق ٤
١٢٦ـ مجادله ٢٢
١٢٧ـ باصبعيك ن م

كما وردفی‌الحدیث، واهلت لمرافقة الملأ الاعلی، وحسن‌اولئك رفيقا[١٢٨]، وفی القران اشارات كثيرة من هذا النمط، بل معظم اياته امثال يذكرللناس كمامر، فان كنت لاتقوی ولاتقدر علی قبول مايقرع سمعك من هذا الباب مالم‌يستند ذلك الی احد من المفسرين فی تفسيره العامی، كقتاده اومقاتل او مجاهد او سدی اوغيرهم، فالتقليد غالب عليك، والحجاب غليظ‌بينك‌و بين نور البصيرة، وكلامنا ليس الامع المستبصر، ومع‌ذلك فانظر الی‌هذه التفاسيرفی معنی قوله تعالی: انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها[١٢٩]، وانه تعالی كيف مثل العلم بالماء الذی به حياة كل‌شی فی هذا العالم، كما بالعلم حياة كل نفس فی الاخرة، ومثل القلوب بالاودية و الينابيع، لانها مواضع العلوم التی بها حياة الابدية و مثل الضلال بالزبد الذی لابقاءله ولاقوام، ثم نبهك فی اخرها بقوله: كذلك يضرب الله الامثال للناس[١٢٩].

تنبيه تذكيری

بل نقول: كل مالايحتمله فهمك فان القران يلقيه اليك علی‌وجه لوكنت فی النوم مطالعا بروحك للوح المحفوظ، لتمثل ذلك بمثال‌مناسب يحتاج الی التعبير، و لذلك قيل: ان التأويل كله يجری مجری التعبير و مدار تدوار المفسرين علی القشرة، و نسبة المفسر الی المحقق المستبصر كنسبة من يترجم معنی الخاتم والفروج والافواه فی مثال المؤذن، الذی كان يری فی المنام ان فی يده خاتما يختم به فروج النساء وافواه الرجال، الی الذی يدرك منه انه كان يؤذن قبل الصبح فی شهر رمضان.

فان قلت: لم‌ابرزت هذه الحقايق فی هذه الامثلة المضروبة، و لم تكشف صريحاً حتی وقع‌الناس فی جهالة التشبيه و ضلالة التمثيل.

فالجواب: ان الناس نيام فی هذا العالم، والنائم لم‌ينكشف له غيب من اللوح المحفوظ الا بالمثال دون الكشف الصريح، و ذلك ممايعرفه من يعرف العلاقة التی بين عالمی الملك و الملكوت.

فاذا عرفت ذلك عرفت انك فی هذا العالم نائم و ان كنت عارفاً،

١٢٨ـ نساء ٦٩ ١٢٩ـ رعد ١٧

فالناس کلهم نیام فی هذا العالم، فاذا ماتوا و انتبهوا انکشف لهم عند الانتباه بالموت حقایق ماسمعوه بالامثلة و ارواحها، ویعلمون ان تلك الامثلة کانت قشوراً وقوالب لتلك الارواح، و یعاینون صدق آیات القران والاحادیث النبویة، کما تیقن ذلك المؤذن صدق قول ابن‌سیرین و صحة تعبیره للرؤیا، فکل مایراه الانسان فی هذا العالم من قبیل الرؤیا، ویتصل کل احد بعد الموت الی تعبیر رؤیاه، وحینئذ یقول الجاهد و الغافل: یالیتنا اطعنا الرسولا[۱۳۰]، اونرد فنعمل غیر الذی کنا نعمل[۱۳۱]، یالیتنی اتخذت مع الرسول سبیلا[۱۳۲]، یاویلتی لیتنی لم اتخذ فلانا خلیلا[۱۳۳]، یاحسرتی علی ما فرطت فی جنب الله[۱۳٤]، الی غیرذلك من الایات المتعلقة بشرح احوال المعاد، فافهم و تحقق، انك لما کنت نائما فی هذه الحیاة الدنیا، و انما یقظتك بعد الموت، وعند ذلك تصیر بصیراً، واهلا لمشاهدة صریح الحق کفاحاً[۱۳۵]، وقبل ذلك فلایحتمل درك الحقایق الا مصبوبة فی قوالب الامثال الخیالیة، ثم بجمود فطرتك عندالحس تظن ان لامعنی له الا هذا المتخیل، و تغفل عن الحقیقة و الستر، کماتغفل عن روح قلبك، ولاتدرك منه الا صورة قالبك، و تلك الامثال نضربها للناس ومایعقلها الا العالمون[۱۳٦]، هذا مع ان هذه التحقیقات و التأویلات فی الرموز القرآنیة و الکنوز الرحمانیة، اشارة وجیزة من بسیط تمثیلات حجة الاسلام، و خلاصة مجملة من وسیط منخولات[۱۳۷] ذا الحبر الهمام، محصلة لنجاة النفوس وشفاء الارواح، ملخصة لطریق الهدایة و الفلاح، اذ هو ایده الله بحرزاخر یقتنص من اصدافه جواهر القران، ونار موقدة یقتبس من مشکوته انوار البیان، ذهنه الوقاد کبریت احمر، یتخذ منه کیمیاء السعادة الکبری، و فکره غواص یستنبط من بحار المبانی لآلی المعانی، فهمه صراف محك دنانیر العلوم علی معیار العلوم، عقله میزان یزن مثاقیل البرهان القویم علی منهج الصراط

۱۳۰ـ احزاب ٦٦
۱۳۱ـ اعراف ٥۳
۱۳۲ـ فرقان ۲۷
۱۳۳ـ فرقان ۲۸
۱۳٤ـ زمر ٥٦
۱۳٥ـ ای مواجهة من غیرحجاب
۱۳٦ـ عنکبوت ٤۳
۱۳۷ـ ای مصفاة واخذ افضلها

المستقيم، وله الحكم المس
الموسوية من اخراج اليد ا
اثارها و خواصها، و سقياً ل



المفتاح الثالث

في ماهية العلم و مفهومه و بيان شرفه وفضله، وفيه مشاهد:

المشهد الاول

في ذكر اقوال الناس في تفسيره

قد ذكروا في تفسير العلم وجوهاً غيرسديدة، وليس من عادة طالب الحقيقة الاعتناء بكلام من لاكشف له ولابصيرة في ادراك الحقايق، كجمهور المتكلمين و اصحاب القلقله وعلماء اللسان، و اهل البلاغة في البيان، و لكن لابأس بايراد كلماتهم في تصوير مدلولات الالفاظ وحدود المفهومات، لتنقيح المناط و تخريج المبحث وتجريد المقصد.

فنقول: قال ابوالحسن الاشعري، العلم مايعلم به الشيء، و ربما قال: ما به يصير الذات عالما، ويرد عليهما انهما يشتملان على الدور، و ذلك غير جائز، ونقل عنه انه اجاب عن هذا بان: علم الانسان بكونه عالما، كعلمه بلذته و المه علم ضروري، و العلم بكونه عالما بهذه الاشياء علم بـاصل العلم، لان المطلق داخل في المقيد، فالماهية العلمية داخلة في هذه العلوم الجزئية، فكان الدور ساقطا، و فيه نظر دقيق، وهو ان الكلام في تصوير مفهوم العلم و تعريف معناه، لافي ثبوته وتحققه، و لا في اثباته وتحقيقه، وماذكر لايثبت الا وجود ماهية العلم و وجدانها، لاتصويرها وتعريفها، نعم لو ادعى احد بداهة تصورها، و استدل بما ذكره عليها لكان موجها، ولعل ذلك كان مراده، وقال القاضي الباقلاني: العلم معرفة المعلوم على

ما هو عليه، و يـرد عليه انه تعريف للعلم بـالمعلوم، فيعود الدور، و ايضا انه مشتمل على الحشو، لان معرفة الشيء لايكون الا على وفقه، و ربما قال: العلم هو المعرفة، و فيه وجوه من الخلل، احدها انه تعريف بالمرادف او بما هو اخص، و كلاهما فاسد، فان المعرفة قد يكون عبارة عن العلم بعد الالتباس، ولهذا يقال ماكنت اعرف فلاناً، والان قد عرفته، و ايضا ان الله يوصف بالعالم، ولايوصف بالعارف، ويمكن الاعتذار عن هذا الاخير بان عـدم هذا الاطلاق ربما كان لاجل توقيف شرعى، و المنع التوقيفى لاينافى الصحة اللغوية، و قال ابواسحق الاسفراينى: العلم تبين المعلوم، و ربما قال: انه استبانة الحقايق، وربما اقتصر على التبيين، فليس فيه الا تبديل لفظ بلفظ اخفى منه، ولان التبيين والاستبانة يشعران بظهور الشيء بعد الخفاء، وذلك لايطرد فى علم الله، اما قوله تبين المعلوم على ماهوبه، فيتوجه عليه الوجوه المذكورة على كلام القاضى، و قال ابن‌فورك: العلم مايصح من المتصف به احكام الفعل واتقانه، وهو ضعيف، اذ لايجرى فيما لايتعلق بعمل، كالعلم بوجوب الواجبات وامتناع الممتنعات مما لايفيد الاحكام والاتقان، و قال القفال: العلم اثبات المعلوم على ماهو به، وربما قيل: العلم تصور المعلوم على ماهوبه، ويرد عليه الوجوه السابقة، و قال امام الحرمين: الطريق الـى تصور ماهية العلم و تمييزها عن غيرهـا ان نقول: انـا نجد مـن انفسنا بالضرورة كوننا معتقدين فـى بعض الاشياء، فاعتقادنا اما جازم او غيرجازم، و الجازم اما مطابق للواقع او غيرمطابق، والمطابق اما ان يكون لموجب هو نفس تصور الطرفين، و هو العلم الضرورى و الاولى، او لموجب حصل من تلك العلوم الضرورية و هـو النظرى، او لا لموجب وهو اعتقاد المقلد، و اما غير المطابق فهو الجهل، وغير الجازم ان كان متساوى الطرفين فهو الشك، اولا، فالراجح من الطرفين هو الظن، و المرجوح هو الوهم، ولايخفى مافيه من وجوه الخلل، منها انه لايتم الا اذا ادعى ان علمنا بماهية الاعتقاد علم بديهى، و اذا جاز ذلك فلم لايدعى ان العلم بماهية العلم بديهى، و منها نظير ماذكرنا سابقا، ان مفاد هذا الكلام اثبات ماهية العلم و وجودها فى النفس لا العلم بها،

واين هذا من ذاك، ومنها ان هذا تعريف للعلم بانتفاء اضداده، و ليست معرفة هذه الاضداد اقوى من معرفة العلم، حتى يجعل عدم النقيض معرفاً للنقيض، فيرجح حاصل الامرالى تعريف الشيء بمثله او بالاخفى، ومنها ان العلم قد لايكون تصديقا، فلايتطرق اليه الجزم ومقابله، ولا القوة والضعف فاذاكان كذلك خرجت العلوم التصورية عنهذا التعريف، وقالت المعتزلة: العلم هو الاعتقاد المقتضى سكون النفس، و ربما قالوا: ما اقتضى سكون النفس، و قالوا لفظ السكون، و ان كان مجازاً هاهنا، الا ان المقصود منه لما كان ظاهراً جاز ايراده فى التعريف، ولايخفى مافيه من الفساد، لانه تعريف الشيء بماهو اخص منه، و ايضا يخرج منه علم البارى جلذكره، فهذه تعريفات المتكلمين.

و اما الفلاسفة فقالوا: العلم صورة حاصلة فى النفس مطابقةللمعلوم، و المراد بالصورة عندهم هى ماهية الشيء موجودة بوجود اخر غيرالخارج، كمايحصل فى المرآة صورة الانسان بوجود ظلى غير وجوده الاصلى ويرد عليهم من الايراد، منها انه يلزم اجتماع المتضادين فى النفس عند تصورها اياهما، و منها انه يلزم ان يكون النفس عند تصورها الحرارة و البرودة و السواد و الاستقامة و الاعوجاج و الكروية و العدم و الكفر و الكثرة، حارة باردة مسودة مستقيمة معوجة كرة معدومة كافرة كثيرة، وذلك لان الحار ما قامت به ماهية الحرارة، و البارد ماقام به ماهية البرودة، و كذا نظايرها، و منها انا نتصور الجبال الشاهقة و الصحارى الواسعة مع اشجارها و انهارها و تلالها و وهادها، و نتصور الافلاك العظيمة و الكواكب الكثيرة على الوجه الجزئى المانع عن الشركة، فوجب ان يحصل تلك الامور فى القوة النفسانية التى ليست جسماً ولاجسمانية، او فى القوة الخيالية التى لاحظ لها من المقدار بالذات، لانها كيفية و حالة عرضت لبخار حاصل فى حشو الدماغ، ومنها ان الحقايق الجوهرية، لان الجوهر ذاتى لها عندهم، يجب ان يكون جوهراً، فكيف ساغ لهم عروض صورتها للذهن و حلولها فيه، و ايضا قد قرروا ان جميع الصور الذهنية

كيفيات نفسانية، فيلزم اندراج جميع حقايق المقولات المتباينة الذوات مع مقولة الكيف فى قسم من الكيف، و هو الكيف النفسانى، و منها ان ايراد لفظ المعلوم فى تعريف العلم دورى، و منها ان من العلوم مالاحقيقة لها فى الخارج كالمعقولات الثانية و غيرها، و ايضا قد نعقل المعدوم المطلق واللاشىء واللاممكن، ولايمكن ان يكون العلم بها صورة مطابقة للمعلوم، اذالمطابقة بين الشيئين يستدعى وجودهما معاً، و ربما اجابوا عن الاول بان المحال اجتماع النقيضين بحسب وجودهما الخارجى، و اما اجتماعهما فى شىء بحسب وجودهما الظلى ليس بمحال.

اقول: ولنا وجه اخر هاهنا و هو ان من شروط التناقض بين الشيئين اتحادهما بحسب الموضوع، و المراد من وحدة الموضوع يجب ان يكون وحدة حسية وضعية، ولايكفى فى تحقيق التناقض الوحدة العقلية كوحدة الطبايع النوعية و الجنسية، والا لكان اتصاف المعنى الجنسى بفصولها المتقابلة، او اتصاف المعنى النوعى بمشخصاتها المتقابلة تناقضا مستحيلا، وليس كذلك، فعلى هذا نقول: وحدة القوة العاقلة ليست كالوحدة الوضعية التى يكون فى الاجسام الخارجية، حتى يستحيل اجتماع المتنافيات و المتناقضات فيها، كالعلم والجهل والايمان و الكفر، بل لها وحدة عقلية تجامع هذه المتقابلات، و درك هذا المقام يحتاج الى لطف قريحة و نور فطرة، و اجابوا عن الثانى بان الحار والبارد و امثالهما، مايقوم به الحرارة والبرودة ونظايرهما بحسب وجودها الخارجى، لابحسب و جودها العلمى النفسانى.

اقول: الاولى ان يقال: ان اطلاق هذه اللفظة شاع و ذاع فيمايكون اتصاف الموضوع بمباديها منشأ الاحساس بها عند مصادفة الحس المتعلق بها اياها، مثلا الاسود عبارة عمايتأثر القوة الباصرة عنها هذا النوع، حتى انه لوكان فى الوجود سواد معقول لايدركه الحس ماكانوا يسمونه سوادا، اذ ليس من شأن الحس ان يدركه، و بوجه اخر، ان الاسود عبارة عن قابل السواد بمعنى المنفعل المتأثر عنه، الذى يتغير به نحو وجوده المخصوص، وجوهر النفس ليس بقابل للسواد قبولا انفعاليا، و اجابوا عن الثالث بان

القوة الخيالية لما لميكن لها فى نفسها مقدار يجوز اتصافها بجميع المقادير، كما ان للهيولى الاولى لما لميكن لها مقدار فى ذاتها، جاز اتصافها بجميع المقادير و الكميات، و هذا الجواب فى غاية السقوط، فان خلو الشيء فى ذاتها عن المقدار لايستدعى جواز اتصافه بمقدارين متخالفين جهة و وضعاً، متباينين شكلا و هيئة فى آن و احد، فضلا عن جميع المقادير، و نحن قد نتصور فى آن واحد مقادير عظيمة متخالفة الاوضاع و الاشكال و الجهات، و جماعة من الحكماء لما رأوا صعوبة هذا الاشكال، ذهبوا الى ان هذه الصورة الخيالية ليست موجودة فى جوف الدماغ، بل فى عالم آخر، اعنى عالم المثال، تشاهدها النفس بحسب اتصالها الى ذلك العالم، وانما يعدها للاتصال استعمالها هذه القوة الدماغية المسماة بالخيال.

اقول: هذا ليس بشيء عندنا، لان النفس فى اكثر الامر يتصور اموراً اختراعية كثيرة القبح و السخافة و الفساد، و اشكالا مع هيئات باطلة الوجود، و دعابات شيطانية واهية فاحشة فى التشويه، و جل البارى والامور المتوسطة بينه و بين عالم المثال فى الايجاد عن ايجاد مثل تلك الصور الباطلة، كما يحكم به الفطرة السليمة، بل الحق الحقيق بالتصديق فى هذا المقام، ما ذهبنا اليه حسب ما الهمنى الله به، ان هذه الصورة المتصورة لنا، انما هى موجودة بايجاد النفس لها، لالقبول[1] النفس اياها، و ليست هى قائمة بالنفس قيام الاعراض والصور لموضوعاتها و موادها، بل قيام الاشياء الموجودة بمقيمها و فاعلها، وذلك لسر الهى فى النفس حيث ابدعها الله مثالا له ذاتا وصفة و افعالا، فللنفس عالم جسمانى مخصوص موجود فى صقع من ذاتها، وليست النفس داخلة فى عالمها ولاخارجة عنها ولها معية بكل جزء من اجزاء عالمها اينما كان ويكون، حيثما كان ويكون، شبه المعية القيومية الواجبية بكل ذرة من ذرات السموات و الارضين، من جهة انها ليست كمعية جسم بجسم، و لاجوهر بجوهر، ولاحال بمحل ولاعكسه، ولامعية حالين لمحل واحد، ولاشيء من ساير المعيات الا معية قيومية

١ـ بمقبول ن م

وجودية يعجز عن‌دركها اكثر الانام، بل لايدركها الا الفاضل الاوحدى التام.

واما الجواب عن الوجه الرابع فقد تصدى له جمع من الاوايل و الاواخر، حتى الشيخ ابى على‌بن سينا واترابه و موافقيهم، و جماعة من اهل التدقيق وقوةالبحث و وفور النظر، ولم يذكروا فى‌بيانه شيئاً يطمئن به‌القلوب و يسكن لديه النفس، فمنهم كالشيخ ابى‌على ذكر: ان الجوهر والعرض متباينان فى الوجود الخارجى لافى‌الوجود العلمى، فالجوهر الموجود فى النفس جوهر وعرض معاً، لان معنى الجوهر مايكون وجوده الخارجى لا فى موضوع، وهذا لاينافى كون وجوده الذهنى فى‌موضوع هو الذهن، فالجوهر الذهنى جوهر بهذا المعنى و هو بالفعل عرض ولا منافاة بينهما، لان العرض عرضى لماتحته من المقولات التسع العرضية، فكما انه عارض للتسع فى الخارج، فهو عارض لها و لمقولة الجوهر فى الذهن، فيكون اقسام العرض تسعة فى الخارج، عشرة فى الذهن ولامنافاة بينهما، و يرد عليه ان الجوهر الذهنى كمايصدق عليه مفهوم العرض، كذا يصدق عليه مفهوم الكيف، لان معناه عرض لايقبل القسمة ولاالنسبة، فيلزم كون شىء واحد جوهراً و كيفا، و ذلك محال البتة، لان المقولات‌اجناس عالية لافرادها الحقيقية، معتبرة فى حقايقها، ولايجوز اعتبار المفهومات المتخالفة فى حقيقة واحدة، و ان كان بوجودات متعددة، و تفصى بعضهم عن هذا الايراد، بان الشرط المذكور فى تعريف الجوهر معتبر مثله فى تعريف ساير المقولات، وهو قيد اذا وجدت فى الخارج كان كذا،فالصورة الجوهرية الذهنية جوهر بالحقيقة، مشابه للكيف فى نحو الوجود، وليس بكيف، لان معناه بحسب ذاته هو الشىء الذى اذا وجد فى الخارج كان فى موضوع،ولايقبل القسمة ولا النسبة، و هذا المعنى محفوظ له، سواء وجد فى الذهن او فى الخارج، كالمغناطيس الموجود فى تعريفه انه حجر يجذب الحديد اذا صادفه، وهذا المعنى يلزمه سواء كان فى داخل الكف او فى خارجه، مصادفا للحديد ام لا.

اقول: هذا التوجيه ليس بشىء، بل يبطل معه اثبات الوجودالذهنى،

ويرجع فى الحقيقة الى القول بان اشباح الماهيات[٢] موجودة فى الذهن لا امثالها، وذلك لان لكل شيء خاصية مترتبة على ذاتها، كالكتابةللانسان، و البرودة و الميعان للماء،و الخشونة للارض، ونحن نعرفها بتلك الخواص، ونحكم على مانعرفها باحكام ثبوتية، سواء كانت موجودة فى الخارج ام لا، وبذلك تثبت لها وجوداً غيرالوجود العينى، مثلا لانعرف من ماهية الجوهر الا الموجود لافى الموضوع، و هذا وان لم‌يكن ذاتياً لها، الا انه من اللوازم البينة لها، و كذا ماهية الكيف نعرفها بتلك الخواص، بحيث يكون من نعوتها اللازمة كونها عرضا لايقبل القسمة، و النسبة لذاتها، و اما الشرط المذكور فلم‌يخطر ببالنا اصلا، كيف ولاحد ان يقول: الفرس المنقوش فى الجدار حقيقة جوهرية بنحو هذا المعنى الذى ذكروا، اى انه لووجد خارجاً عن السطوح لكان جوهراً، و هذا كلام لافايدة فيه، اذ هو بمنزلة ان يقال لوكان العرض جوهراً لم‌يكن حالا فى موضوع، و ايضا لنا ان نبدل لفظ الجوهر بلفظ الموجود بالفعل لافى الموضوع،فنقول: نحن نتصور هذا المعنى بالذات و نحكم عليه بحكم ثبوتى، فلابد ان‌يكون الموجود لا فى موضوع موجوداً فى الموضوع و هذا تناقض محال، ومنهم من قال فى دفع كون الصورة الذهنية للجوهر جوهرا وعرضا: انا اذا تصورنا الاشياء يحصل فى ذهننا امران، احدهما علم هو عرض جزئى، قائم بالذهن، ناعت له من الكيفيات النفسانية، **و ثانيها حقيقة المعلوم**، و هو غيرحال فى الذهن ناعتا له، بل حاصل فيه حصول النار فى البيت.

اقول: وكأنه اخذ هذا الكلام من كيفية ارتباط الصورة بالهيولى، حيث الصورة الجزئية من حيث ماهيتها الكلية غيرقائمة بالهيولى ولا مفتقرة اليها، بل الهيولى مفتقرة فى تقومها و انحفاظها الى الصورة المطلقة، وهى من حيث شخصيتها قائمة بالهيولى مفتقرة اليها، و الهيولى فى وجودها وبقائها مستغنية عن الصورة الشخصية، فالصورة بماهى صورة مطلقة، جوهر مقوم للمادة، و بما هى شخصية مفتقرة اليها، كافتقارالعرض الى المحل المستغنى عن ذلك العرض، و الفرق بين العرض و الصورة

٢ـ الهيئات ن م

الشخصية لايكون الا من جهة ان العرض كما يفتقر الى المحل شخصاً، كذلك يفتقر اليه نوعاً، لان طبيعة العرض طبيعة ناعتية بخلاف الصورة، اذ لها طبيعة مطلقة غير وصفية، فحينئذ نقول لهذا القائل: ان اردت ان هناك امرين متغايرين بالاعتبار، موافقا لما قرره الحكماء والمحققون، فلاينفع ولايجدى فى دفع الشبهة، وان اردت انهما متغايران بالذات، فهو مع انه احداث مذهب ثالث، يرد عليه امور، احدها: انه قد تقرر فى مظانه ان كل مجرد قائم بذاته هو عالم بذاته، و بنوا على ذلك اثبات صفة العلم فى البارى و المجردات، فوجب ان يكون المعلومات الحاصلة فى الذهن علماء بانفسها، وهو مما لم يقل بهاحد من العقلاء، و ثانيها: اذا كان المعلوم الكلى كالانسان غيرحال فى النفس ناعتا له، كان موجوداً مجرداً عن المادة قائماً بذاته بسيطا، والنفس ايضاً مجردة عن المادة قائمة بذاته بسيطة، فلايتصور ان يكون احدهما ظرفا للآخر، اذا لظرفية بلاحلول يكون بين الجسمانيات، و منع هذا مكابرة صريحة، وبالجملة هذا الكلام تخييل بلاتحصيل، ومنهم من ذهب الى ان كل ما وجدت من الماهيات، سواء كانت جوهراً او كماً او كيفاً اوغيرها من المقولات فى الذهن، يصير كيفا بالحقيقة، وهو وان كان مستلزماً لانقلاب الحقايق، ارتكبه معتذراً بان وجود الشىء لما كان متقدما على ماهية كما هو مذهبه، فجاز تبدل الماهية بتبدل نحو وجودها، إذ مع قطع النظر عن وجود الشىء لاماهية له اصلا، فلا استبعاد فى ان يتبدل الماهية ايضاً، فاذا وجد الشىء فى الخارج كان له ماهية ما، اما جوهر او كم اومن مقولة اخرى، واذا تبدل الوجود و وجد فى الذهن، انقلبت ماهيته، وصارت من مقولة الكيف، و زعم ان بذلك يندفع اكثر الاشكالات الواردة على الوجود العلمى، ولايخفى مافيه، ولنا فى هذا المقام ابحاث لطيفة وتحقيقات لايقة، يضيق هذا المقام عن ذكرها، و قد اوردناها فى كتبنا العقلية، سيما الاسفار الاربعة، و كتاب المبدأ و المعاد و كتاب الشواهد الربوبية، و سنشير اليها فى بعض مشاهد هذا المفتاح[٣].

٣ـ هذا صريح فى ان تصنيفه قدس سره هذا الكتاب، اى المفاتيح الغيب يكون بعد كتبه الثلاثة

واما الجواب عن الاشكال الخامس، فبان المراد من المعلوم هو الذى يطابقه الصورة الحاصلة فى النفس، لامفهوم المعلوم، و الاولى تبديل لفظ المعلوم بلفظ ما حصلت الصورة منه.

واما عن السادس فبان المراد من المطابقة المذكورة فى حد العلم، اعم من ان يكون محققة و بالفعل، او مقدرة و بالقوة، و منهم كصاحب التفسير الكبير و من تبعه، ذهب الى ان العلم ليس صورة فى النفس، بل هو مجرد النسبة المتحققة بين العالم والمعلوم، حذرا عن الشبهات الواردة فى ماهية العلم بمعنى الصورة الحاصلة، وما ذهب اليه سخيف جداً، فاولا فلانه ينفى العلم بالمعدومات، اذ لانسبة بين العالم و المعدوم، و ثانيا فانه ينفى علم الواجب تعالى بالعالم و اجزائه من الممكنات قبل ايجادها، و ثالثا بانه لايمكن تقسيم العلم بهذا المعنى الى التصور و التصديق، و رابعاً بانانجد من انفسنا اذا ادركنا شيئا بعد ان لم نعلم، حصل فى انفسنا حالة و كيفية سوى الاضافة، فليس علمنا بالشىء مجرد النسبة اليه من غير حصول اثر منه فينا، و خامساً يلزم ان يكون كل جماد عالما بكل موجود، اذمامن موجود الا وله نسبة اليه، فثبت ان العلم ليس مجرد النسبة بين الشىء وغيره، بل لابد فيه امر او حالة بها يقع النسبة، كما ان القدرة ليست مجرد النسبة بين المسمى بالقادر و المسمى بالمقدور، بل حالة او امر يقع بها اضافة القادرية، فليست القدرة نفس القادرية، و كذا العلم ليس مجرد العالمية.

→ المشهورة، التى هى الاصول لفلسفته الاعلى وبرهانه الاقوى، و المفاتيح جامع لجميع تلك الكتب التى لمن تدبر يخوض فى تياره، وصنف وقد مضى من عمره ستون سنة كما يقول بعدهذا، وعلى هذا قدكان عام تصنيفه سنته ١٠٤٠ وقدتوفى قدس سره فى سنة ١٠٥٠ و الف التفاسير فى سنة ١٠٣٠ كما كتب بخطه الشريف فى ختام كتبه التفسيرية.

المشهد الثانى

فى تحقيق ماهية العلم بحسب ما وجدناه واخترناه

و اعلم ان ماهية العلم على ماشهد به الحدس الصحيح، بل التتبع والفحص البالغ و ضرب من الاعتبار، يرجع الى حقيقة الوجود الحاصلة للموجود المستقل فى وجوده.

فنقول: العلم هو حصول ماهية شىء لامر مستقل فى الوجود بنفسه او بصورته حصولا حقيقياً او حكمياً، فالعلم على ثلاثة اقسام:

الاول: حصول شىء بنفس هويته العينية لامر مستقل الوجود حصولا حقيقياً، وذلك كعلم الشىء بنفس هوية معلوله العينية، فان وجود المعلول هو بعينه وجوده للعلة الفاعلية الحقيقية.

و الثانى: حصول شىء بهويته لامر مستقل الوجود حصولا حكمياً، كعلم الذات المجردة بذاته، و كل من هذين النحوين علم حضورى، بمعنى ان وجود المعلوم فى‌نفسه هو عبارة عن معقوليته و وجوده للجوهر العاقل، و بهذا الاعتبار قيل: العلم حضور شىء لمجرد او عدم غيبة شىء عن مجرد، و اعتراض بعض الاشراقيين على المعنى الثانى، بان ماهية العلم على هذا التعريف يكون امرا سلبياً، مدفوع بان ظاهر هذا اللفظ وان‌كان سلبيا غيرمحصل، لكن المقصود منه تحصيل امر و اثباته، و الاولى ان يكتفى بالتعريف الاول، و يدعى ان حضور شىء لشىء لايستدعى المغايرة، فان معنى الحاضر لايقتضى الا امرا يكون الحضور له او عنده، و اما ان ذلك الامر الذى يقع الحضور له غير هذا الامر الحاضر، فليس بواجب البتة، اذ لابرهان يدل على المغايرة بين الحاضر وما حضر له، و ذكرالشيخ ابوعلى فى مواضع من كتبه ان كون الشىء عاقلا و كونه معقولا لايقتضى اثنينية فى الذات، ولا اثنينية فى الاعتبار، فالذات واحدة و الاعتبار واحد، لكن فى الاعتبار تقديم و تأخير، و انما سمينا حصول المجرد لذاته حصولا حكميا نظراً الى ظاهر اللفظ، و الا فهو فى باب الحصول اشد من حصول الشىء لغيره.

الثالث: حصول شيء بصورته لابنفس هويته العينية لامر مستقل الوجود حصولا حقيقياً، كعلم النفوس الانسانية بما يحصل فى ذواتها او آلاتها من صور الموجودات الخارجية او الصور التى اخترعها، بل نقول: حقيقة العلم نفس الحصول و الوجود مطلقا، فكل ماهو موجود اى نحو من الانحاء فهو معلوم لماهو موجود له، و اما كون القائم بالغير غيرمعلوم لذاته، فذلك لان وجود ذاته ليس له، بل لموضوعه، ولو كان وجود الامر الحال بالغير لنفس ذلك الحال لكان معلوما له، و اما ان الهيولى غير عالمة بالصور المحسوسة القائمة، فلان الهيولى ليس لها وجود بالاستقلال، لان وجودها قوة وجود الصور التى مصورة بها، وكذلك كل واحد من الموجودات المتباينة الاوضاع و الموضوعات و المحال، غير عالم بالاخرى لعدم و جودها له، وليس مجرد وجود الشيء كافيا لصيرورته معلوما، والا لكان كل من له صلاحية العالمية عالما بجميع الموجودات، وليس كذلك، فلابد فى حصول العلم من احد الامرين، اما الاتحاد و اما العلاقة الوجودية الذاتية، والعلاقة الذاتية، منحصرة فى العلية، فكل موجود مستقل الوجود قائم الذات فهو عالم بذاته، لاتحاد ذاته بذاته، وكل موجود كذلك، فهو عالم بمعلولاته، فالمعلولات ان كانت معلوليتها بحسب وجودها الاصلى العينى، فيكون العلم بها علما حضورياً، و ان كانت معلوليتها بحسب وجودها الذهنى الظلى، فيكون العلم بها علما حصوليا، وبالحقيقة المعلوم بالذات فى العلم الحصولى الصورى نفس الصور الحاصلة، وماخرج عن التصور من وجود الامر المطابق لها فهو معلوم بالعرض و بالمجاز، لانالعلاقة الوجودية غيرحاصلة بين هذا العالم و بينها.

و مما يدل على ماذكرناه قول بعض الحكماء فى كتاب المسمى بالتحصيل. لماكان وجود المحسوس و المعقول فى ذاته وجوده لمدركه، كان وجوده لمدركه نفس محسوسيته و معقوليته، لميصح ان يكون ما وجوده لغيره مدركاً لذاته، ومدرك ذاته يجب ان يكون نفس وجوده ادراكه بذاته، و كل ما وجوده لذاته، فهو مدرك لذاته، اذ ليس وجوده الا

كونه مدركا، فالامور التى يدرك ذواتها لايصح ان تكون مقارنة لمادة، والا لكان وجودها لغيرها، واما الامور المجردة عن المادة فانها يجب ان يدرك ذواتها والا لكان وجودها لغيرها، وكل ماهو محجوب عن ذاته فلمقارنة المادة غيرمدرك لذاته، ويشهد بهذا ان القوى الحسية كالبصر و اللمس و الذوق لاتدرك ذواتها، ثم قال فى موضع اخر لبيان العقل و المعقول: اذ قد علمت ان معقولية الشىء و وجوده لغيره من‌حيث هو معقول و احد، فاذا كان وجوده لغيره كان معقولا له، و اذا كان وجوده لذاته فهو معقول ذاته، و اقوى الموجودات هو الوجود المستغنى عن الماهية، و اضعف الموجودات ما حقيقته القوة، و هذا هو الهيولى، فما وجوده اقوى الموجودات فهو اقوى فى باب المعقول، انتهى، و فيه‌اشارة الى لمية كون الهيولى غيرشاعرة بذاتها، فان العلم كما عرفت هوالوجود، فما يكون وجوده بالفعل كان علمه بالفعل، ومايكون وجوده بالقوة كان علمه من هذه الجهة بالقوة، فقد تحقق وتبين ان مناط كون الشىء معلوماً، هو وجوده لامر مستقل الوجود، سواء كان وجوداً عينياً او وجوداً صورياً ارتساميا.

المشهد الثالث

فى‌الاشارة الي دفع الاشكالات الواردة فى حصول كليات الجوهر و ساير المقولات للنفس، من لزوم كون شىء واحد فى‌العلم‌الصورى الارتسامى جوهراً و كيفاً، او كماً وكيفا، او اينا وكيفا.

ولنمهد لبيان ذلك مقدمة وهى: ان الحمل والاتحاد بين شيئين قد يكون بالمعنى والمفهوم، وقد يكون بالهوية و الوجود، والاول مفاد الحمل الاولى الذاتى، و الثانى مفادالحمل العرضى، فالحكم فى الاول بان الموضوع معناه و مفهومه نفس معنى المحمول ومفهومه، كمافى قولنا: الانسان انسان، و الكلى كلى، والجزئى جزئى، اذا قصد فى كل من‌الطرفين نفس المفهوم، وفى الثانى بان الموضوع من افراد المحمول و مصداقه، سواء كانت القضية طبيعية، كما فى قولنا الانسان كلى، او متعارفة، اعم

من ان يكون المحمول عرضيا و الحمل بالعرض، كما في قولنا: زيد كاتب اوماش، او ذاتيا، والحمل بالذات، كما في قولنا زيد انسان او حيوان، ثم انه قد يصدق الشيء على نفسه باحد الحمل، ويكذب عنها بالاخر، كمفهوم العدم واللاشيء واللامفهوم و الجزئي و التشخص و الجنس وشريك الباري وكثير من هذه النظاير، بل مفهوم الحركة و الزمان والاستعداد والهيولى والعدد من هذا القبيل، فلكل منها مفهوم يكون ذلك المفهوم فرداً لنقيضه، فان مفهوم الجزئي ليس بجزئي بل هو كلي، و مفهوم اللاشيء شيء، ومفهوم التشخص ليس تشخصاً، و مفهوم الزمان ليس بزمان.

فاذا تقرر هذا فنقول: ان غاية مايستدعيه دلايل الوجود الذهني للاشياء الموجودة في الاعيان، ليس الاحصول معانيها ومفهوماتها في النفس دون حصول وجوداتها وهوياتها، والا لكان الذهن خارجاً، فالحاضر في الذهن من الجوهر والكم والاين، معانيها ومفهوماتها، فنقول: لايلزم كليا ان يكون معنى الشيء مندرجاً تحته، بل لابد كليا ان يحمل عليه نفسه بالحمل الاولى، ولايلزم كليا ان يحمل الشيء على نفسه بالحمل المتعارف، فمفهوم الجوهر جوهر بالحمل الاولى، كيف بالحمل المتعارف، فجميع المعاني الموجودة في النفس بحسب وجودها، هذا الوجود مندرجة تحت الكيف النفساني اندراج الاخص تحت الاعم، و اتحاد الافرادبالماهية المشتركة، وهي مع ذلك مفهومات متعددة لاشياء متخالفة الحقايق كالجوهر والكم والكيف وغيرها، مثلا مفهوم الحيوان موجود في الذهن بوجود قائم بالموضوع غيرقابل للقسمة، والنسبة لذاته فهو جوهر ذهني، وهو بعينه كيف خارجي بلااختلاف حيثية، وكذلك هو كلي بالاضافة الى الافراد الخارجية، شخصي بالاضافة الى ما في النفس، و كذلك هو علم خارجي و معلوم ذهني، وكذا الكلام في غيره من المفهومات، فاجعل هذه القاعدة مقياساً في تعقل اى مفهوم كان حاصلا من الموجودات العينية في الذهن، ومن ارتكب القول بان عند تصورنا الانسان يوجد في ذهننا جسم ذونمو واغتذاء وحركة ارادية وادراكات جزئية او كلية، بمعنى انه يصدق عليه هذه المعاني صدقا عرضيا، ويحمل حملا شايعاً صناعيا، فقد

بالغ فی مصادمة الوجدان ومكابرة العقل، فعند احكام هذه القاعدة التی مهدناها لاحاجة الى القول بانقلاب الحقايق، كما فعله بعضهم، ولا الى القول بان الصورة الجوهرية كيف بالمجاز جوهر بالذات، كما زعمه بعض اخر، ولا الى القول بان العلم نسبة محضة بين العالم والمعلوم، كما توهمه بعض آخر، فظهر ان معنى كون العلم بكل مقولة من تلك المقولة كما اشتهر توجيهه ماذا يكون؟

فان رجعت وقلت: اليس الجوهر مأخوذاً فی حدود طبايع اجناسه وانواعه، وكذا الكم، والنسبة فی طبايع افرادها و انواعها كما يقال: الانسان جوهر قابل للابعاد نام حساس ناطق، والزمان كم‌متصل غير قار، فكيف لايكون الانسان الذهنی جوهراً، والجوهر مأخوذ فی حده، وكذا المعقول من اقسام بواقی المعقولات كيف‌لايكون مندرجة تحت‌مقولاتها، وهی معتبرة فی حدود انفس تلك الاقسام.

قلت: تذكر ما ذكرناه لك و تنبه بما نبهناك حتى تعلم: ان مجرد كون مفهوم الجنس بعيداً او قريباً كالجوهر او الحيوان، مأخوذاً فی تحديد شیء، كالانسان مثلا لايستدعی كليا ان يصير المجموع الحاصل من‌ذلك المفهوم مع مفهوم اخر كباقی الفصول البعيدة او القريبة مندرجا تحت ذلك المفهوم، بل اللازم صدقه على افراده الخارجية، و كذا فی‌ساير المواد وانواع المقولات.

المشهد الرابع

فی بيان منهج اخر فی‌كيفية ادراك النفس للمعقولات الكلية

قدمر فيما سبق ان النفس الانسانية بالقياس الى مدركاتها‌الحسية والخيالية، اشبه بالفاعل المخترع منها بالقابل بل‌المتصف، وبه‌اندفع‌كثير من‌المشكلات المتعلقة بادراكها للامور الانفعالية، والان نقول: اما حالها بالقياس الى الصور العقلية للانواع الجوهرية المتأصلة فی الوجود، فهی بمجرد اضافة شهودية انكشافية، ونسبة نورية حضورية، يحصل لها الى ذوات نورية عقلية، و صور مفارقة واقعة فی عالم الابداع، موجودة فی

صقع الالهية، و كيفية ادراك النفس اياها، بان تلك الصور النقية الالهية، لغاية شرفها و علوها و بعدها عن اقليم النفس المتعلقة بالاجرام، لم يتيسر للنفس ان تشاهدها على التمام مشاهدة نورية، ويراها رؤية كاملة عقلية لالحجاب مرسل بينهما، بل لقصور النفس وعجزها واستيلاء احكام الطبيعة الظلمانية عليها، فلاجرم تشاهدها مشاهدة ضعيفة، كمن ابصر بهذا البصر الحسى شخصاً من بعد، فيحتمل عنده اشياء كثيرة، فكذلك يحتمل المثال النورى و الصورة العقلية القائمة بذاتها بحسب الشهود النفسى، والبصيرة الضعيفة العقلية، الابهام والعموم و الاشتراك بالنسبة الى اشخاص موجودة منه فى هذا العالم، هى معاليل ذلك المثال النورى، والمعلول متحد مع علته اتحاداً معنويا، فالنفس الانسانية مادامت فى هذا العالم، يكون تعقلها للاشياء العقلية الذوات المفارقة الوجودات تعقلا ضعيفا، قابلا للاشتراك بين جزئيات يكون لها ارتباط معلولى بذلك المدرك العقلى، لانها امثلة لحقيقته واثار لوجوده فما يقال: ان العلم بالشىء هو الصورة الحاصلة منه للنفس، يراد بذلك القول هذا الذى ذكرناه، فان كل حصول صورة لايلزم ان يكون حصولها للقابل، ولا ان اطلاق الصورة يجب ان يكون لمايقوم بمادة او موضوع، فالصور المادية لو فرضت مجردة عن المادة لكانت صوراً قائمة بانفسها، معقولة لذواتها، ولما حصلت لها سواء كان ذلك الشىء علة لها او معلولالها، لكن وجودها و حصولها لفاعلها اكد واقوى من حصولها لمفعولها.

قال يعقوب بن اسحق الكندى: اذا كانت العلة الاولى متصلة بنا لفيضه علينا، وكنا غيرمتصلين به الا من جهة فقد يمكن فينا ملاحظته على قدر ملاحظتنا له، لانها اغرزواوفرواشد استغراقاً لنا، و اذا كان الامر كذلك، فقد بعد عن الحق بعداًكثيراً من ظن ان العلةالاولى لايعلم الجزئيات انتهى.

كشف وانارة

فالنفس عند ادراكها لكل معقول من المعقولات الكلية، يشاهد

ذواتاً مجردة و صوراً مفارقة لابتجريد مجرد اياها، و انتزاع معقولها من محسوسها كما هو المشهور، وعليه الجمهور، بل بانتقال و مسافرة للنفس من المحسوس و هو المعقول الهيولانى، الى المتخيل و هو المعقول بالملكة، و منه الى المعقول بالفعل والعقل الفعال، وارتحال لها من الدنيا الى الاخرى، ثم الى ماورائهما، و فى قوله تعالى: ولقد علمتم النشأةالاولى فلولاتذكرون[٤]، اشارة الى هذا المعنى، فان معرفة امور الاخرة على الحقيقة فى معرفة امور الدنيا، لان معرفتها معرفة مابعد الطبيعة بالقياس الى انفسنا، وان كانت بحسب الوجود، نفسه ماقبل الطبيعة، وبالجملةالنفس ينتقل من الدنيا الى الاخرى بواسطة ارتياضها بادراك العلوم، ويسافر من المحسوسات الى ماورائها، ومخرجها من هذا العالم الى الاخرة، و من المحسوسات الى ماورائها، ملك نقالة اسمه واهب الحيوة و نافخ الصور، وسنزيدك ايضاحاً فى كشف هذا المقام، والغرض هاهنا هو الاشارة الى وجه اندفاع بعض الشبه المتعلقة بمسئلة العلم، التى عييت افهام الانام عن حلها، والله الهادى الى دارالسلام.

المشهد الخامس

فى الاشارة الى فضيلة العلم

اعلم ان الانسان مشارك للبهايم فى الشهوة، و مشارك للملائكة فى العقل، فنقول: ان الامور التى يصادفها الانسان على اربعة اقسام، الاول مايرضاه العقل ولايرضاه الشهوة، الثانى مايرضاه الشهوة ولايرضاه العقل، الثالث مايرضاه العقل والشهوة، الرابع مالايرضاه العقل والشهوة معاً، اما الاول فكالامراض والفقر والمكاره فىالدنيا، و اما الثانى فهو كالمعاصى كلها، و اما الثالث فهو العلم، و اما الرابع فهو الجهل، فينزل العلم من الجهل، منزلة الجنة من النار، فكما ان العقل والشهوة لايرضيان بالنار، كذا لايرضيان بالجهل، وكما انهما يرضيان بالجنة، يرضيان بالعلم، فمن رضى بالجهل رضى بنار حاضرة، ومن اشتغل بالعلم فقد خاض فى جنة

٤ـ واقعه ٦٢

حاضرة، ثم من اختار العلم يقال له غداً[٥] تعودت المقام فى الجنة، فادخل الجنة، ومن اكتفى بالجهل يقال: تعودت النار، فادخل النار، والذى يدل على ان العلم جنة والجهل نار، ان كمال اللذة فى ادراك المحبوب، وكما الالم فى البعد عن المحبوب، فلذة الذوق عبارة عن ادراك الطعوم الموافقة للبدن، ولذة البصر ادراك الاضواء والالوان، و لذة الشم ادراك الروايح الطيبة،ولذة اللمس ادراك الملايمات اللمسية من المناكح الشهية وغيرها، و لذة الخيال بادراك المتخيلات، و لذة الوهم بالرجاء، و الم كل منها بادراك مايضاده، و اما النفس الناطقة الانسانية فلذتها و كمالها فى ادراك المعقولات الدائمة، كذات الواجب و صفاته وافعاله، كالعقول و النفوس الكلية، والطبايع الكلية والاجرام الكلية، وبالجملة هيئةالوجود كله، ولهذا قالت الحكماء: كمال النفس فى ان يصير عالماً عقليا مضاهياً للعالم الموجود، فان العالم عالم بصورته لابمادته.

و تحقيق ذلك كماذهب اليه جمع عظيم من اكابر الحكماءالسابقين، كارسطو و شيعته مثل اسكندر و فرفوريوس، و من فلاسفة الاسلام ابى‌نصر: ان كل ادراك سواء كان علما كلياً او احساساً جزئيا، باتحاد المدرك بالمدرك، فالقوة الباصرة يتحد بما ادركته وتصورت به من صورةالالوان والاضواء، والقوة العقلية المسماة بالعقل الهيولانى تتحد بماتصورته و تصورت به من الصور العقلية.

و بيان ذلك كما ذكره اسكندر فى مقالته: ان العقل على ثلاثة اضرب:

احدها الهيولانى، و يعنى به شىء ما، موضوع يمكن ان يصير شيئا اخر مشار اليه بوجود صورة مافيه، فكما ان وجود الهيولى انما هو فى ذاته يمكن ان يصير كل شىء من طريق الامكان، كذلك ايضا ما بالقوة من جهة ماهو بالقوة، فهو هيولانى، فالعقل ايضاً الذى لم‌يعقل الا انه ممكن ان يعقل فهو هيولانى، و قوة النفس التى هى هكذا عقل هيولانى،وليس هو واحداً من‌الموجودات بالفعل، الاانه يمكن ان يكون فيه كلها بان يصير

٥ـ عندالموت ــ المطبوعة

متصوراً للاشياء الموجودة كلها ولاينبغى لمدرك الكل ان يكون بالفعل بطبيعة مخصوصة بواحد من المدركات، لانه لوكان كذلك، لكان عند ادراكه للاشياء التى من خارج يعوقه صورته التى تخصه عن تصور تلك، فان الحواس ايضاً لاتدرك الاشياء التى وجودها انما هو فيها، وكذلك البصر، فان الالة التى هو فيها لالون لها خاص، والة الشم ليست لها رايحة، سيما التى يدركها، و كذا اللمس، فانه وان لم يخل عن الكيفية الملموسة مطلقا، الا انه خال عما هو يخالفها من الكيفيات، فظهر انه لايمكن فى الحواس ان يدرك الحس شيئا هوله، فالقوة العاقلة لما كان من شأنها ان تدرك الكل، فليس هو اذاً واحداً من الموجودات بالفعل، ولكنه بالقوة كلها، بخلاف الحواس، فانها داخلة تحت كثير من المعانى، كالجسمية وغيرها من الكيفيات التى توجد فيها بالفعل، لا التى تكون مدركة لها، فليست هى بالفعل الاشياء التى يدركها، ولكنها اشياء اخر بالفعل، ولذلك ليس حس من الحواس مدركا لكل محسوس، لان الحس ايضا هو شىء ما بالفعل، فاما العقل فليس هو البتة شيئاً من الموجودات بالفعل، ولاهو شيئامحسوسا مشاراً اليه، لانه قوة قابلة لادراك جميع المعقولات.

و ثانيها الذى قد صار يعقل، وله ملكة ان يعقل، وقادر ان يأخذ صور المعقولات بقوة فى نفسه، وقياسه قياس الذين فيهم ملكة الصناعات القادرين بانفسهم على ان يعملوا اعمالهم و يصنعوا صنايعهم، فان الاول ماكان شبيهاً بهؤلاء، بل بالذين فيهم قوة يقبلون بها الصناعة، حتى يصيروا صناعا، و هذا العقل الهيولانى من بعد ان صارت له ملكة، و استفادان يعقل و ان يعقل، فانما يكون فى الذين قد ا ستكملوا.

و اما العقل الثالث وهو غير الاثنين الموصوفين، فهو العقل الفعال، وهو الذى به يصير الهيولانى له ملكة، وقياس هذا الفاعل كما قاله ارسطو: قياس الضوء للابصار و المبصرات، فكما ان الضوء هو علة الالوان المبصرة بالقوة فى ان يصير مبصرة بالفعل، كذلك هذا العقل يجعل العقل الهيولانى الذى هو بالقوة عقلا بالفعل، بان يثبت فيه ملكة التصور العقلى، و هذا هو بطبيعته معقول وهو بالفعل هكذا، لانه فاعل التصور العقلى، و سائق

العقل الهيولانى الى العقل بالفعل، فكذلك هو عقل من جهة ان الصور الهيولانية التى هى معقولات بالقوة انما يصير معقولة بالفعل، لان هذا العقل يجردها و يخرجها من الهيولى التى كانت وجودها بسببها بالقوة، فيجعلها هو معقولة، فحينئذ اذا عقلت كل واحدة منها فانها يصير بالفعل معقولا وعقلا، ولم يكن من قبل هكذا، لان العقل بالفعل ليس هو شيئا غير الصور المعقولة، فكذلك كل واحدة من هذه التى ليست معقولة على الاطلاق، اذا عقلت صارت عقلا، لانه كما ان العلم الذى هو بالفعل انما هو للمعلوم الذى هو بالفعل، والمعلوم اذا صار بالفعل كان علما و معلوما، و كما ان وجود المحسوس بما هو محسوس نفس وجوده للجوهر الحاس، فكذلك وجود المعقول بما هو معقول و موجوديته نفس وجوده للقوة العاقلة، فالقوة الهيولانية عندما صارت عقلا بالفعل تصير عين الاشياء المعقولة، ولاشبهة فى ان الاشياء المعقولة وجودها افضل الوجود واشرف الخيرات بعد الاول، فاى سعادة للنفس اجل واقوى من امر يصير بقوتها الهيولانية منتقلة من حد المحسوس الى حد المعقول و عالم القدس، صائرة فى الصقع الالهى، منخرطة فى سلك الجواهر المفارقة، و الصور المجردة التى هى مطارح الاشعة الالهية، ومواضع الانوار واللذات الواجبية، وقوابل الابتهاجات الغير المتناهية.

المشهد السادس

فى الدلالة على فضيلة العلم من الكتاب و الحديث و الآثار

واما شواهد القرانيه فمن وجوه:

احدها قوله: شهد الله انه لا اله الاهو و الملائكة و اولوا العلم[٦]، فانظر كيف بدأ بنفسه، و ثنى بالملائكة، وثلث باهل العلم، و ناهيك بهذا شرفا و فضلا وجلالة ونبلا.

وثانيها ان الله تعالى سمى العلم بالحكمة، ثم انه عظم امر الحكمة و ذكرها فى كثير من المواضع على سبيل الامتنان والاهتمام والاستعظام،

٦ــ آل عمران ١٨

فقد قال فی البقرة، و من يؤت الحكمة فقد اوتی خيرا كثيرا[۷]، و ما انزل عليكم من الكتاب والحكمة[۸]، و قال فی النساء: و انزل الله عليك الكتاب والحكمة[۹]، فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة[۱۰]، و قال فی الانعام: اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم[۱۱]، وقال فی لقمان: و لقد اتينا لقمن الحكمة[۱۲]، وفی النحل: ادع الی سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة[۱۳]، و المفسرون و ان ذكروا فی معنی الحكمة وجوها مختلفة حسب وجوه المناسبة، كالموعظة والفهم والنبوة والقران، الا ان مرجع جميعها الی العلم، كما هو مكشوف عند اهل البصيرة.

وثالثها قوله تعالی: هل يستوی الذين يعلمون والذين لايعلمون[۱۴]، وقد فرق الله تعالی بين سبعة نفر فی كتابه الكريم، فقد فرق بين الخبيث والطيب، فقال: قل لايستوی الخبيث والطيب[۱۵]، و بين الاعمی و البصير، قل هل يستوی الاعمی والبصير[۱۶]، وبين النور والظلمة، هل تستوی الظلمات والنور ، وبين الجنة والنار، و بين الظل والحرور.

واذا تأملت هذه الوجوه تاملا لطيفا، وجدت كل ذلك مأخوذا من الفرق بين العالم والجاهل، وبين العلم و الجهل.

و رابعها قوله تعالی: واطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولی الامر منكم[۱۸]، والمراد من اولی الامر، هم الراسخون فی العلم علی اصح اقوال المفسرين المشهورين، لا الملوك والامراء ذوی الشوكة، وعند مفسری اصحابنا الامامية رضوان الله عليهم، المراد بهم اهل بيت النبوة والطهارة سلام الله عليهم اجمعين، ثم انظر الی هذه المرتبة فانه سبحانه ذكر العالم الراسخ فی المرتبة الثالثة فی قوله: شهد الله انه لااله الاهو والملائكة و

۷ـ بقره ۲۶۹ ۸ـ بقره ۲۳۱
۹ـ نساء ۱۱۳ ۱۰ـ نساء ۵۴
۱۱ـ انعام ۸۹ ۱۲ـ لقمان ۱۲
۱۳ـ نحل ۱۲۵ ۱۴ـ زمر ۹
۱۵ـ مائده ۱۰۰ ۱۶ـ انعام ۵۰
۱۷ـ رعد ۱۶ ۱۸ـ نساء ۵۹

اولوا العلم[١٩]، ثم انه تعالى زاد فى الاكرام فجعلهم فى المرتبة الثانية فى الايتين، ومايعلم تأويله الا الله و الراسخون فى العلم[٢٠]، وقال: قل كفى بالله شهيداً بينى و بينكم ومن عنده علم الكتاب[٢١].

وخامسها قوله: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات[٢٢]، قال ابن‌عباس: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمأة درجة مابين الدرجتين مسيرة خمس مأة عام، قال بعضهم: ان الله تعالى ذكر الدرجات لاربعة اصناف، اولها للمؤمنين من اهل بدر، قوله: انما المؤمنون الذين اذا ذكرالله وجلت قلوبهم، الى قوله لهم درجات عند ربهم[٢٣]، والثانية للمجاهدين، قوله: فضل‌الله المجاهدين باموالهم و انفسهم على القاعدين درجة[٢٤]، والثالثة لمن عمل‌الصالحات، و من يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى[٢٥]، و الرابعة للعلماء، والذين اوتوا العلم درجات[٢٦]، فالله تعالى قد فضل اهل بدر على غيرهم من المؤمنين بدرجات، و فضل المجاهدين على القاعدين بدرجات، و فضل الصالحين على هؤلاء بدرجات، ثم فضل العلماء على جميع الاصناف بدرجات، فوجب كون العلماء افضل الناس.

وسادسها قوله: انما يخشى‌الله من عباده العلماء[٢٧]، فوصفهم بما وصف به الملائكة المقربين من قوله: وهم من خشيته مشفقون[٢٨]، وفى هذه الاية وجوه من الدلالات على فضل اهل العلم.

الاول الدلالة على كونهم من اهل الجنة، لقوله: جزاؤهم عندربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار الى قوله: ذلك لمن خشى ربه[٢٩]، و لقوله تعالى: ولمن خاف مقام ربه جنتان[٣٠]، والدليل على ان العالم انما

١٩ـ آل عمران ١٨
٢٠ـ آل عمران ٧
٢١ـ رعد ٤٣
٢٢ـ مجادله ١١
٢٣ـ انفال ٢
٢٤ـ نساء ٩٥
٢٥ـ طه ٧٥
٢٦ـ مجادله ١١
٢٧ـ فاطر ٢٨
٢٨ـ انبياء ٢٨
٢٩ـ بينة ٨
٣٠ـ رحمان ٤٦

يخشى الله دون غيره، انه لابد فى الخشية من العلم بامور ثلاثة:

احدها العلم بالقدرة التامة، فان الملك قديعلم من رعيته انهم عالمون بافعاله القبيحة، لكنه لايخافهم، لعلمه بعدم قدرتهم على دفعه،

و الثانى العلم بكونه عالما، لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته، ولكنه اعتمد على انه غير عالم بسرقته فلايخافه،

والثالث العلم بكونه حكيما لايفعل اموراً جزافية، فان المسخرة عالم بعلم السلطان على قبيح عمله وبقدرته على زجره، لكنه يعتمد فى سخريته على انه قديرضى بمالاينبغى، فلايخاف، امالو علم انه حكيم لايرضى بسفاهته لكان خائفا منه، وهذا عمدة الوجوه، فان اكثر المتكلمين يزعمون انه تعالى، له ان يغفر الكبائر والفواحش كلها، و له ان يعذب اهل العبادة والتقوى، بخلاف العالم بالله، فانه يعلم انه تعالى لايهمل شيئاً من الطاعات و المعاصى الا ويجزيه بما كانوا يعملون فان لكل فعل سببا وغاية، لايمكن ان يترتب غاية الشر على فعل الخير ولاعكسه، و اما التفضل و العفو و المغفرة، فجميع ذلك ثابت، الا ان لها اسبابا خفية فى علم الله، ينشأ من جانب الله، فثبت ان الخوف و الخشية من لوازم العلم بالله، و انه سبب دخول الجنة، و ذلك لان العالم اذا علم بنور الايمان ان اللذة العاجلة حقيرة فى مقابلة الالم الاجل، صار ذلك الايمان سببا لفراره عن تلك اللذة العاجلة، و ذلك هو الخشية، و اذا صار تاركاً للمحظور، فاعلا للواجب، كان من اهل الثواب، فقد ثبت بالشواهد العقلية و النقلية، ان العالم بالله خائف، و الخائف من اهل الجنة.

الثانى ان ظاهر الاية تدل على انه ليس للجنة اهل الا العلماء، وذلك لان كلمة انما للحصر، فهذا يدل على ان خشية الله لايحصل الا للعلماء، و الاية الاخرى و هى قوله: ذلك لمن خشى ربه، دالة على ان الجنة لاهل الخشية، فدل مجموعهما على انه ليس للجنة اهل الا العلماء.

ثم اعلم: ان هذه الاية فيها تخويف شديد، وذلك لانه ثبت ان الخشية من لوازم العلم، فعند عدم الخشية يلزم عدم العلم بالله، وهذه الدقيقة تنبهك على ان العلم الذى هو سبب القرب من الله الذى يورث الخشية،

و ان انواع المجادلات الكلامية والتفريعات الفقهية و ان دقت و غمضت، اذا خلت عن افادة الخشية كان من العلم المذموم.

الثالث انه قرئ انما يخشى الله من عباده العلماء، برفع الاول ونصب الثانى، و معنى هذه القرائة انه لوجازت الخشية على الله تعالى، لماخشى الا العلماء، لانهم هم الذين يميزون بين مايجوز ومالايجوز، و اما الجاهل حيث لايميز بين هذين البابين، فاى مبالاة[٣١] و اى التفات اليه، ففى هذه القرائة نهاية المنصب والتعظيم للعلماء.

وسابعها قوله تعالى: وقل رب زدنى علما[٣٢]، و فيه ادل الدليل على نفاسة العلم و علو مرتبة العالم، وفرط محبة الله اياه، حيث امر نبيه صلوات الله عليه بالازدياد منه خاصة دون غيره، و قال قتادة: لواكتفى احد من العلم لاكتفى موسى عليه‌السلام، ولم‌يقل: هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا[٣٣].

وثامنها قوله: قال الذى عنده علم من‌الكتاب انا آتيك[٣٤]، تنبيهاً على انه اقتدر على‌ذلك بقوة العلم.

و تاسعها قوله تعالى: قال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن[٣٥]، بين ان تعظيم قدرالاخرة و الزهد فى الدنيا والاعراض عنها انما يحصل بالعلم.

و عاشرها قوله تعالى: ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هوالحق[٣٦]، بين ان حقيقة‌الانزال للقرآن و حقيقة‌الارسال للرسول انما يعرف بالعلم، وحاصله ان الايمان بالقران و التصديق بالرسول لايكونان الا من‌العلماء، و ليس لغيرهم من‌المسلمين الا الاقرار باللسان و مايجرى مجراه، كما قال تعالى: و تلك الامثال نضربها للناس و مايعقلها الا العالمون[٣٧].

٣١ـ مبالات ـ المطبوعة
٣٢ـ طه ١١٤
٣٣ـ كهف ٦٦
٣٤ـ نمل ٤٠
٣٥ـ قصص ٨٠
٣٦ـ سبا ٦
٣٧ـ عنكبوت ٤٣

والحادى عشر قوله تعالى: يا بنىآدم قد انزلنا عليكم لباساً يوارى سواتكم[۳۸]، يعنى العلم، و ريشا يعنى اليقين، ولباس التقوى، يعنى الحياء.

والثانىعشر قوله تعالى: بل هوايات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم[۳۹]، دال على مزية عظيمة لاهل العلم، و كذا قوله: خلق الانسان علمه البيان[٤۰]، ذكر ذلك فى معرض الامتنان.

و اما الاخبار فمن طريق اصحابنا مستندا عن ابىعبدالله عليهالسلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سلك طريقا يطلب فيه علما: سلك الله به طريقا الى الجنة و ان الملائكه لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاً به، وانه يستغفر لطالب العلم من فى السماء ومن فى الارض حتى الحوت فىالبحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على ساير النجوم ليلة البدر، و ان العلماء ورثة الانبياء، ان الانبياء لميورثوا ديناراً ولادرهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن اخذ منه اخذ بحظ وافر، و معلوم انه لارتبة فوق رتبة النبوة، فلاشرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة، وعنه عليهالسلام، قال: قال رسول الله صلىالله عليه وآله: طلبالعلم فريضة على كل مسلم، و عن على ابن الحسين عليهماالسلام: لويعلم الناس ما فى طلب العلملطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، ان الله تعالى اوحى الى دانيال: ان امقت عبيدى الى الجاهل المستخف بحق اهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وان احب عبيدى الى التقى الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، التابع للحكماء[٤۱]، القابل عن الحكماء[٤۲]، و قال ابوعبدالله عليهالسلام: من تعلم العلم وعمل به وعلم لله، دعى فى ملكوت السماء عظيماً، فقيل: تعلم لله، وعمل لله، و علم لله و عن ابىعبدالله عليهالسلام: العلماء امناء، و الاتقياء حصون، والاوصياء سادة، و فى رواية العلماء منار، و عنه عليهالسلام و عن ابائه عليهم السلام قال: قال رسولالله صلىالله عليهوآله: لاخير فىالعيش الا لرجلين، عالم مطاع ومستمع واع، و عنابىجعفر عليهالسلام قال: عالم

۳۸ـ اعراف ۲٦
۳۹ـ عنكبوت ٤۹
٤۰ـ رحمن ۳ و ٤
٤۱ـ للحلماء ن ل. والكافى
٤۲ـ الحكماء ن م

ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد، و عن ابى‌الحسن موسى‌ابن جعفر عليهما السلام قال: محادثة العالم على المزابل، خير من محادثة الجاهل‌على الزرابى،

واما عن طرق غيرهم، فعن انس قال: قال النبى صلى‌الله عليه و آله: من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين، فو- الذى نفسى بيده، مامن متعلم تختلف الى باب العالم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة، و بنى له بكل قدم مدينة فى الجنة، ويمشى فى‌الارض و الارض يستغفر له، ويمسى ويصبح مغفوراً له، وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من‌النار، و قال: قال رسول الله صلى‌الله عليه وآله: من طلب العلم لغيرالله لم يخرج من‌الدنيا حتى يأتى عليه العلم فيكون لله[٤٣]، و عن الحسن مرفوعا: من جائه الموت وهويطلب العلم ليحيى به‌الاسلام، كان بينه و بين الانبياء درجة واحدة فى الجنة،وعن ابى موسى الاشعرى قال: قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وآله: يبعث الله عباده يوم القيامة، ثم يميز العلماء، فيقول: يا معشر العلماء، انى لم اضع نورى فيكم الا لعلمى بكم، و لااضع علمى بكم لاعذبكم، انطلقوا فقد غفرت لكم‌وقال رسول‌الله صلى الله عليه‌وآله: معلم الخير اذا مات بكى عليه طيرالسماء ودواب الارض وحيتان البحور، وعنه صلى‌الله عليه‌وآله: من صلى خلف عالم من‌العلماء، فكانما صلى خلف نبى من الانبياء، وعنه صلى‌الله عليه وآله: فضل العالم على العابد سبعين درجة، بين‌كل درجة حضر[٤٤] الفرس سبعين عاما، وذلك لان الشيطان يضع‌البدعة للناس، يبصرها العالم فيزيلها، و العابد يقبل على

٤٣ــ اى لم يخرج من الدنيا بعد، الا ان يطلب العلم لله وحده، فحينئذ يخرج من‌الدنيا، ومن يخرج من‌الدنياياتى عليه العلم فيكون لله، لان‌العلم من سنخ الوجود، و الخروج من القوة (الدنيا) الى الفعل (اى الى الاخرة) يحتاج‌الى حركة جوهرية متجددة، التى هى خارجة من‌الزمان و المكان لانه صلى الله عليه وآله‌لم يقل لايخرج، بل قال لم يخرج، اى ماخرج و اذا خرج من الدنيا بحركة و تحول ذاتى،اشرق عليه اشعات العلم الحقيقى، فاذن يكون لله وفى سنن ابن ماجة في‌المقدمة : من طلب‌العلم لغيرالله، واراد به غيرالله فليتبوء مقعده من النار. (خواجوى)

٤٤ــ اى العدو

عبادة لايتوجه بها و لايتعرف بها، قال النبى صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام حين بعثه الى اليمن: لان يهدى الله بك رجلا واحدا خيرلك مما تطلع عليه الشمس وتغرب، وعنه صلى الله عليه وآله برواية ابن مسعود: من طلب العلم ليحدث به الناس ابتغاء وجه الله، اعطاه الله اجر سبعين نبيا، و عنه صلى الله عليه وآله: يؤتى بمداد طالب العلم و دم الشهداء يوم القيامة، فرجح مداد العلماء على دماء الشهداء، و روى ابو وافد الليثى قال انه صلى الله عليه وآله بينما هو جالس والناس معه، اذا قبل ثلاثة نفر، فاما احدهم فرآى فرجة فى الحلقة فجلس اليها، واما الاخر فجلس خلفهم، و اما الثالث فانه رجع، فلما فرغ النبى صلى الله عليه وآله من كلامه قال: الا اخبركم عن النفر الثلاثة، اما الاول فاوى الى الله فاواه، واما الثانى فاستحيى من الله، فاستحى الله منه، واما الثالث فاعرض، فاعرض الله عنه، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة، وفى التفصيل وجهان:

احدهما ان التفكر يوصلك الى الله، والعبادة يوصلك الى ثواب الله، والذى يوصلك الى الله خير لامحالة من الذى يوصلك الى غيره.

والثانى ان التفكر عمل القلب، والطاعة عمل الجوارح، والقلب اشرف من الجوارح، فكان عمله اشرف من عملها، والذى يؤكد هذا قوله تعالى: اقم الصلوة لذكرى[٤٥]، جعل الصلوة وسيلة الى ذكر القلب، و المقصود اشرف من الوسيلة، فدل على ان العلم اشرف من غيره، قال امير المؤمنين عليه السلام: العلم افضل من المال بسبعة اوجه: الاول العلم ميراث الانبياء، والمال ميراث الفراعنة، والثانى العلم لاينقص بالنفقة، و المال ينقص، والثالث المال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه، والرابع اذا مات الرجل يبقى ماله والعلم يدخل معه قبره، والخامس المال يحصل للمؤمن والكافر، والعلم لايحصل الا للمؤمن، والسادس جميع الناس يحتاجون فى امر دينهم الى العالم، ولايحتاجون الى صاحب المال، و السابع العلم يقوى الرجل على المرور على الصراط والمال يمنعه منه،

٤٥- طه ١٤

قال رسول الله صلى‌الله عليه وآله: يشفع يوم‌القيامة ثلاثة: الانبياء ثم‌العلماء ثم الشهداء، قال الراوى: فاعظم بمرتبة هى بين النبوة والشهادة، معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى‌الله عليه‌وآله: تعلموا العلم، فان تعلمه لله حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه و تعلمه صدقة، وبذله لاهله قربة، لانه معالم الحلال والحرام، و منار سبيل الجنة، والانيس من الوحشة، والصاحب فى‌الوحدة، والمحدث فى الخلوة، والدليل على السراء و الضراء، والسلاح على الاعداء، والزين عند الاخلاء، يرفع الله به اقواماً، فيجعلهم فى الخير قادة، هداة يهتدى بهم امة فى‌الخير تقتفى باثارهم، و يقتدى بافعالهم، وينتهى الى آرائهم، يرغب الملائكة فى خلتهم، و باجنحتها تمسهم، و فى صلواتها يستغفرلهم، حتى كل رطب ويابس، و حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وانعامه، والسماءونجومها، لان العلم حيوة القلب من العمى، ونور الابصار من الظلم، وقوة الابدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الاحرار ومجالس الملوك، و الدرجات‌العلى فى‌الدنيا والاخرة، والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به‌يطاع الرب و يعبد، وبه يمجد و يوحد، وبه يوصل الارحام، وبه يعرف الحلال والحرام، وقال رسول الله صلى‌الله عليه وآله: اذا مات الانسان انقطع‌عمله الامن ثلاثة: صدقة جارية، او علم ينتفع به، او ولد صالح يدعو له بالخير، قال رسول الله صلى‌الله عليه وآله: من امر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو خليفة الله فى ارضه، و خليفة فى كتابه، و خليفة رسول‌الله، والدنيا سم الله القتال لعباده، فخذوا منها بقدر السم فى‌الادوية لعلكم تنجون، قال الراوى: العلماء داخلون فيه، لانهم يقولون هذا حرام فاجتنبوه، و هذا حلال فخذوه، قال رسول الله صلى‌الله عليه وآله: كن عالما او متعلما او مستمعاً او مجيباً، ولاتكن الخامس فتهلك، قال الراوى: وجه التوفيق بين هذه الرواية والاخرى وهى قوله صلى‌الله عليه وآله: الناس رجلان عالم و متعلم، و ساير الناس همج لاخير فيهم، ان المستمع و المجيب‌بمنزلة المتعلم والمعلم، وما احسن قول بعض‌الاعراب لولده: كن سبعاً خالساً[٤٦] او

٤٦ــ اى اختطفته بسرعة على غفلة

ذئبا حابساً او كلبا حارساً، واياك ان تكون انسانا ناقصا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من اتكى على يده عالم، كتب الله له بكل خطوة عتق رقبة، ومن قبل رأس عالم كتب الله بكل شعره حسنة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بكت السموات ومن فيهن و من عليهن و الارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن لعزيز ذل، وغنى افتقر، وعالم يلعب به، و عنه صلى الله عليه وآله: حملة القران عرفاء اهل الجنة، والشهداء قواد اهل الجنة، و الانبياء سادة اهل الجنة، وعنه صلى الله عليه وآله: العلماء مفاتيح الجنة و خلفاء الانبياء، قال الراوى: الانسان لايكون مفتاحا، انما المعنى ان ما عندهم من العلم مفتاح الجنان، و الدليل عليه ان من راى فى النوم ان فى يده مفاتيح الجنة، فانه يؤتى علماً فى الدين، وعنه صلى الله عليه و آله: ان لله عزوجل كل يوم وليلة الف رحمة على جميع خلقه، فتسعمأة و تسع و تسعون رحمة للعلماء و طالب العلم و المسلمين، و رحمة واحدة لساير الناس، و عنه صلى الله عليه وآله: قلت يا جبرئيل: اى الاعمال افضل لامتى؟ قال: العلم، قلت: ثم اى؟ قال: النظر الى العالم، قلت: ثم اى؟ قال: زيارة العلماء ثم قال: ومن كتب العلم لله، و اراد به صلاح نفسه و صلاح المسلمين، ولم يرد به غرضا من الدنيا، فانه كفيله بالجنة، قال صلى الله عليه وآله: عشرة تستجاب لهم الدعوة، العالم و المتعلم، وصاحب حسن الخلق، والمريض و اليتيم، والغازى و الحاج، و الناصح للمسلمين، والولد المطيع لابويه، والمرأة المطيعة لزوجها، سئل النبى صلى الله عليه وآله: ما العلم؟ قال: دليل العلم العمل، قيل: فما العقل؟ قال: قائد الخير، قيل: فما الهوى؟ قال: مركب المعاصى، قيل: فما المال؟ قال: رداء المتكبرين، قيل: فما الدنيا؟ قال: السوق الاخرة، وقال: الناس كلهم موتى الا العالمون، و الخبر مشهور، عن انس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سبعة للعبد يجرى بعد موته، من علم علماً، او اجرى نهراً، او حفر بئراً، او بنى مسجداً، او اورث مصحفاً، او ترك ولداً صالحاً يدعوله، اوصدقة تجرى له بعد موته، فقدم الانتفاعات، لانها روحانية، والروحانى ابقى من الجسمانى، و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لايجلس العلماء الا اذا دعاكم من خمس الى خمس، من الشك

الى اليقين، ومن الكبر الى التواضع، ومن العداوة الى النصيحة، ومن الرياء الى الاخلاص، و من الرغبة الى الزهد، روى انه صلى الله عليه وآله اوصى عليا عليه السلام، قال: يا على: احفظ التوحيد، فانه رأس مالى، و الزم العمل فانه حرفتى، و اقم الصلوة فانها قرة عينى، و اذكر الرب فانه نضرة فؤادى، و استعمل العلم فانه ميراثى.

واما الاثار فوجوه: الاول العالم ارأف بالتلميذ من الاب و الام، لان الاباء و الامهات يحفظونهم من نار الدنيا، و العلماء يحفظونهم من نار الاخرة.

الثانى: قيل لابن مسعود: بم وجدت هذا العلم؟ قال: بلسان سئول، و قلب عقول.

الثالث قال بعضهم: سل مسئلة الحمقى، و احفظ حفظ الا كياس.

الرابع قال بعض المحققين: العلماء ثلاثة، عالم بالله غير عالم بامر الله، و عالم بامر الله غير عالم بالله، و عالم بالله وبامر الله، اما الاول فهو عبد قد استولت المعرفة الالهية على قلبه، فصار مستغرقاً بمشاهدة نور الجلال وصفات الكبرياء فلايتفرغ لتعلم علم الاحكام الا مالابد منه، و اما الثانى فهو الذى يكون عالما بامر الله، و غير عالم بالله، وهو الذى يعرف الحلال والحرام و دقايق الاحكام، لكنه لايعرف اسرار جلال الله، و اما العالم بالله وباحكام الله فهو جالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعلم المحسوسات، فهو تارة مع الله تعالى بالحب له، وتارة مع الخلق بالشفقة و الرحمة، فاذا رجع من ربه الى الخلق، صار معهم كواحد منهم، كأنه لايعرف الله تعالى، و اذا خلا بربه مشتغلا بذكره و خدمته، فكأنه لايعرف الخلق، فهذا سبيل المرسلين و الصديقين، و هذا هو المراد بقوله صلى الله عليه وآله: سائل العلماء، و خالط الحكماء، وجالس الكبراء، فالمراد من قوله: سائل العلماء، اى العلماء بامر الله غير العلماء به يأمر[٤٧] بمسئلتهم عند الحاجة الى الاستفتاء منهم، و اما الحكماء، فهم العالمون بالله، الذين لايعلمون اوامر الله، فامر بالمخالطة معهم، و اما الكبراء، فهم العالمون بالله و باحكام

٤٧- يؤمر ن م

الله، فامر بمجالستهم، لان فی مجالستهم منافع الدنيا و الاخرة، ثم قال الشقيق البلخی: لكل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة علامات، اما العالم بامر الله فله ثلاث علامات، ان يكون المرء ذاكراًباللسان دون القلب، وان يكون خائفا من الخلق دون الرب، و ان يستحيی من الناس فی الظاهر، ولايستحيی من الله فی السر، واما العالم بالله فانه يكون ذاكراً خائفا مستحييا، اما الذكر، فذكر القلب لا اللسان، و اما الخوف، فخوف الرياء لا المعصية، و اما الحياء فحياء مايخطر علی القلب، لاحياء الظاهر، واما العالم بالله وبامر الله فله ستة اشياء، الثلاثة التی ذكرناها للعالم بالله، فقط، مع ثلاثةاخری، كونه جالسا علی الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وكونه معلما للقسمين الاولين، و كونه بحيث الفريقان الاولان اليه، و هويستغنی عنهما، ثم قال: مثل العالم بالله و بامر الله كمثل الشمس لايزيد و لاينقص، و مثل العالم بالله فقط كمثل القمر، يكمل تارة و ينقص اخری، ومثل العالم بامر الله كمثل السراج يحرق نفسه و يضیء لغيره.

الخامس قال فتح الموصلی: اليس المريض اذا منع منه الطعام و الشراب و الدواء يموت، فهكذا القلب اذا منع منه العلم و الفكر و الحكمة يموت.

السادس قال شقيق: الناس يقومون من مجلسی علی ثلاثة اصناف، كافر محض و مؤمن محض، ومنافق محض، وذلك لانی افسر القران فاقول: عن الله تعالی و عن الرسول، فمن لايصدقنی فهوكافر محض، و من ضاق قلبه منه فهو منافق محض ،و من ندم علی ماصنع وعزم ان لايذنب كان مؤمناًمحضا.

السابع وقال بعضهم فی قول الله تعالی: فاحتمل السيل زبدا رابيا[٤٨]، السيل هاهنا العلم، شبه الله بالماء الخالص بخمس خصال: الاول كما ان المطر نزل من السماء، ينزل العلم من ملكوت السماء، الثانی كما ان اصلاح الارض بالمطر، فاصلاح ارض القلب بالعلم، الثالث كما ان الزرع والنبات لايخرج الا بالمطر، كذا الاعمال و الطاعات لايخرج الا بمياه العلوم،

٤٨ــ رعد ١٧

الرابع كما ان المطر فرع الرعدو البرق، كذلك العلم فانه فرع الوعد و الوعيد، الخامس كما ان المطر قد يكون ضارا، كذلك العلم قد يكون ضاراً لمن يعمل بخلافه.

الثامن قال الفقيهابوالليث: ان من جلس عند العالم، ولايقدر ان يحفظ منذلك العلم شيئا، فله سبع كرامات، اولها ينال فضل المتعلمين، وثانيها مادام جالساً عنده كان محبوساً عن الذنوب، وثالثها اذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه، و رابعها اذا جلس فى حلقة العلم فاذا نزلت الرحمة عليهم، حصلت له منها نصيب،و خامسها مادام فىالاستماع يكتب له طاعة، و سادسها اذا استمع ولميفهم، ضاق قلبه لحرمانه عن ادراك العلم، فصار ذلك الغم وسيلة الى حضرة الله تعالى، لقوله: انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلى،و سابعها يرى اعزاز المسلمين للعالم، و اذلالهم للفساق،فيبرد قلبه عن الفسق و يميل الى العلم،و لهذا امر رسول الله صلىالله عليهوآله بمجالسة الصالحين.

وفىالخبر: العالم نبى لميوحى اليه، روى انه صلىالله عليه و آله يحدث انسانا، فاوحى الله تعالى اليه: انه لميبق من عمر هذا الرجل الذى تحدثه الا ساعة، وكان هذا وقت العصر، فاخبره رسول الله صلىالله عليه وآله بذلك، فاضطرب الرجل و قال يا رسول الله: دلنى على اوفق عمل لى فى هذه الساعة، فقال: اشتغل بالعلم، و قبض قبل المغرب، قال بعض العلماء: فلوكان شيء افضل منالعلم، لامره النبى صلىاللهعليهوآله به فى ذلك الوقت، قال ابوكبشة الانصارى، ضرب لنا رسولالله صلى الله عليهوآله مثل اربعةرهط، رجلاتاه الله تعالى علماً واتاه مالا، فهو يعمل بعلمه فى ماله، و رجل اتاه علماو لميؤته مالا، فيقول: لو ان الله اتانى مثل مااوتى لفعلت مثلمايفعل، فهما فىالاجر سواء،ورجل اتاه الله مالا ولميؤته علما، فهو يمنعه من الخلقو ينفقه فى الباطل، و رجل لميؤته الله علماً ولم يؤته مالا، فيقول: لوان الله تعالى اتانى مثل ما اوتى فلان لفعلت فيه مثل مايفعل فلان، فانهما فى الوزر سواء.

التاسع كميل ابنزياد قال: اخذ على عليهالسلام بيدى، فاخرجنى

الى الجبانة[۴۹]، فلما اصحر تنفس الصعداء، ثم قال: يا كميل: ان هذه القلوب اوعية، فخيرها اوعاها، فاحفظ مااقول لك، الناس ثلاثة: عالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، اتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيؤا بنور العلم، و لم يلتجئوا الى ركن وثيق، ياكميل العلم خير من المال، العلم يحرسك و انت تحرس المال، و المال تنقصه النفقة و العلم يزكو على الانفاق، وصنيع المال يزول بزواله، ياكميل العلم دين يدان به، به يكسب الانسان الطاعة فى حياته، و جميل الاحدوثة بعد وفاته، و العلم حاكم والمال محكوم عليه.

قال بعض الصحابة: ان الرجل يخرج من منزله و عليه من الذنوب مثل جبل تهامة، فاذا سمع العلم فخاف و استرجع على ذنوبه، انصرف الى منزله و ليس عليه ذنب، فلاتفارقوا مجلس العلماء فان الله لم يخلق تربة على وجه الارض اكرم من مجالس العلماء، عن ابن عباس: خير سليمان عليه السلام بين الملك و المال و بين العلم، فاختار العلم، فاعطى المال و الملك معاً، و عن نافع بن ازرق انه قال لابن عباس: كيف اختار سليمان عليه السلام الهدهد لطلب الماء، قال ابن عباس: لان الارض له كالزجاجة، يرى باطنها من ظاهرها، فقال نافع: قف ياوقاف[۵۰] الفخ، يغطى له باصبع من تراب فلايراه بل يقع فيه، فقال ابن عباس: اذا جاء القدر عمى البصر، قال الحسن: صرير قلم العلماء تسبيح، وكتابة العلم والنظر فيه عبادة، و اذا اصاب من ذلك المداد ثوبه، فكأنما اصابه دم الشهداء، و اذا تقطر منها على الارض، تلالا نوره، و اذا قام من قبره نظر اليه اهل الجمع، يقال: هذا عبد من عباد الله، اكرمه الله و حشره مع الانبياء.

قال سقراط: من فضيلة العلم انك لاتقدران يخدمك فيه احد كما تجد من يخدمك فى ساير الاشياء، بل تخدمه بنفسك، ولايقدر احد على سلبه عنك، قيل لبعض الحكماء: لاتنظر، فغمض عينيه، قيل لاتسمع، فسد اذنيه، قيل لاتتكلم، فوضع يديه على فيه، قيل له لاتعلم، فقال لااقدر عليه، قال بعضهم: احيوا قلوب اخوانكم ببصائر بيانكم كما تحيون النبات و النواة، فان

۴۹- جبان نهج البلاغة
۵۰- اى المتأنى عن الحرب

نفساً تبعد عن الشهوات و الشبهات افضل من ارض تصلح للنبات، قال الشاعر:

وفى الجهل قبل الموت موت لاهله و اجسامهم قبل القبور قبور
وان امرءاً لم يحى بالعلم ميت و ليس له حتى النشور نشور

قيل: اذا كان السارق عالما لايقطع يده، لانه يقول: كان المال وديعة لى فيه، و كذا الشارب للخمر يقول حسبته خلا، و كذا الزانى يقول تزوجتها، لاتحد، قال حكيم: القلب ميت و حياته بالعلم، والعلم ميت وحياته بالطلب، و الطلب ضعيف و قوته بالمدارسة، فاذا قوى بالمدارسة فهو محتجب، و اظهاره بالمناظرة، واذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم و نتاجه العمل، فاذا زوج العلم بالعمل توالد و تناسل ملكا ابديا لااخر له، قال حكيم آخر: تحصيل العلم انما صعب عليك لفرط حبك فى الدنيا، لان الله اعطاك سواد العين و سويداء القلب، ولاشك ان السواد اكبر من السويداء فى اللفظ، لانها تصغيره ثم اذا وضعت الى سواد عينك جزاً من الدنيا لاترى شيئاً، فكيف اذا وضعت على السويداء كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيئا، قيل: القلب رئيس الاعضاء، وتلك الرياسة ليست للقوة، فان العظم اقوى منه، ولا للعظم، فان الفخذ اعظم منه، ولا للحدة، فان الصفراء احد منه، وانما تلك الرياسة بسبب العلم، فدل على انه اشرف الصفات.

المشهد السابع

في البحث عن معانى الالفاظ يظن بها انها مرادفة للعلم، و هى ثلاثون:

الاول الادراك، و هو اللقاء و الوصول، يقال: ادرك الغلام، وادركت الجارية، و ادركت الثمرة، وقوله تعالى: قال اصحاب موسى انا لمدركون[٥١]، فالقوة العاقلة اذا وصلت الى اصل ماهية المعقول، و حصلتها، كان ذلك ادراكا من هذه الجهة.

الثانى الشعور، وهو ادراك بغير استثبات، وهو اول مراتب وصول

٥١– شعرا ٦١

العلم* الی القوة العاقلة، فکأنه ادراك متزلزل ولهذا لایقال فی حق الله انه یشعر بکذا.

الثالث: التصور اذا حصل وقوف القوة العاقلة علی المعنی وادرکه بتمامه، فذلك هو التصور.

واعلم ان التصور لفظ مشتق من الصورة، ولفظ الصورة بزعم الناس انه حیث وضع، وضع للهیئة الجسمانیة الحاصلة للجسم المشکل، وفی عرف الحکماء موضوع لعدة معان، لکنها مشترکة فی معنی واحد، هوما به یصیر الشیء بالفعل هوهو، فیجوز اطلاقه علی الصور العلمیة للاشیاء المعلومة.

الرابع الحفظ، فاذا حصلت الصور فی العقل وتأکدت و استحکمت، وصارت بحیث لوزالت، لتمکنت القوة العاقلة من استرجاعها و استعوادها، سمیت تلك الحالة حفظا، قیل: ولما کان الحفظ مشعراً بالتأکد بعد الضعف، لاجرم لایسمی علم الله حفظاً، ولانه انما یحتاج الی الحفظ فیما یجوز زواله، ولما کان ذلك فی علم الله محالا، لاجرم لایسمی ذلك حفظا.

اقول: لایخلو کلام هذا القایل من تعسف، اما ان علمه تعالی لایسمی بالحفظ فغیر مسلم، والدلیل علیه قوله تعالی: ولایؤده حفظهما و هو العلی العظیم[۵۲]، وقوله: انا نحن نزلنا الذکر و انا له لحافظون[۵۳]، وقوله: و ربك علی کل شیء حفیظ[۵۴]، و ذلك لان علمه عین قدرته، وقد حقق فی مقامه ان العالم کله صورة علمه التفصیلی، کما انه صورة قدرته النافذة فی کل شیء، فذاته التی هی عین علمه حفیظ علی کل شیء، و حفظ لکل شیء، ومراتب علومه التفصیلیة یحفظ بعضها بعضا، لان علومه فعلیة ولیست انفعالیة، و اما اشعار مفهوم الحفظ بالتأکد بعد الضعف فغیر معلوم، الا فی بعض الموارد الجزئیة، واما قوله انما یحتاج الی الحفظ فیما یجوز زواله، ان اراد به الامکان الوقوعی، فالحصر ممنوع، و ان اراد به الامکان الذاتی فلایستلزم ذلك عدم جواز استعماله فی علم الله التفصیلی، الزاید علی ذاته، الثابت فی القلم الاعلی و لوح قضائه و قدره.

۵۲ــ بقره ۲۵۵ ۵۳ــ حجر ۹

۵۴ــ سبا ۲۱ * المعلوم ن م

الخامس التذكر، و هو ان الصورة المحفوظة اذا زالت عن القوة العاقلة، فاذا حاول الذهن استرجاعها، فتلك المحاولة هى التذكر، و عند الحكماء لابد فى التذكر من وجود جوهر عقلى فيه جميع المعقولات، هو خزانة للقوة الناطقة الانسانية، و اختلفوا فى ان ذاته منفصلة عن ذات النفس الانسانية، او متصلة اتصالا عقليا احتجبت عنه النفس، اما بسبب اشتغالها بعالم الحس، او لعدم خروجها من القوة الى الفعل فى باب العقل والمعقول.

وقد تحير بعض الاكياس كالامام الرازى وغيره فى باب التذكر، فقال: ان فى التذكر سراً لايعلمه الا الله، وهو انه عبارة عن طلب رجوع تلك الصور المنمحية الزايلة، فتلك الصورة ان كانت مشعوراً بها، فهى حاضرة حاصلة، والحاصل لايمكن تحصيله، وان لم يكن مشعوراً بها، فلايمكن استرجاعها، لانها طلب مالايكون متصوراً محال، فعلى كلا التقديرين، التذكر الذى هو بمعنى الاسترجاع ممتنع، مع انا نجد من انفسنا انا قد نطلبها و نسترجعها، و هذه الاسرار اذا توغل العاقل فيها، عرف انه لايعرف كنهها، مع انها من اظهر الاشياء، فكيف فيما هو من اخفاها.

اقول: هذه الشبهة مع انها على الطريقة التى اخترناها، من ان الادراك العقلى انما يكون باتصال النفس بالجوهر العقلى الذى وجدت فيه صور الموجودات، اصعب انحلالا و اشد صعوبة، لكن مع ذلك منحلة بفضل الله، وهو ان النفس ذات مقامات متعددة ونشآت مختلفة: نشأة الحس، ونشأة الخيال، و نشأة العقل، و هذه النفوس ايضاً متفاوتة قوة و ضعفا و كمالا و نقصا، و اقوى النفوس ما لايشغله نشأة عن نشأة، و بعضها دون ذلك، وبعضها فى الخسة بحيث لايحضرها بالفعل الا نشأة الحس، مع مايتبعها من نشأة الخيال، وهى شيء ضعيف من صورها، فضلا عن حضور الصور العقلية.

فاذا تقرر هذا نقول: ان النفوس المتوسطة فى القوة و الكمال، اذا اتصلت بعالم العقل خرجت عن نشأة الحس، و دبرت البدن ببعض قواها الطبيعية، و اذا رجعت الى عالم الحس غابت عن نشأتها العقلية، ويبقى معها شيء كخيال ضعيف منها، و بذلك الخيال الضعيف مع بقاء ملكة الاسترجاع،

واستعداد الاتصال، يمكنها التذكر، لما تجلى لها من حقيقة ذاتها و تمام جوهرها العقلى، فقوله: ان لم يكن الصورة التى يريد استرجاعها متصورة لم يمكن استرجاعها، ان اراد بعدم تصورها كونها غيرمتصورة، لا بالكنه و لابوجه من الوجوه، ولاحصلت القوة الاستعدادية القريبة لحصولها، فمسلم ان مثلها غيرممكنة الاسترجاع لها، و ليس الكلام فى مثلها، و ان اراد بذلك كونها غيرمتصورة بالكنه و ان تصورت بوجه، او حصلت للنفس ملكة المراجعة الى الخزانة فغير مسلم، و هذا القائل انما صعب عليه تحقيق هذا المقام و امثاله، بناء على انه اعتقد ان اكتساب التصورات مطلقا مستحيل، سواء كان اولا و بالتفكر، او ثانيا و بالتذكر، بناء على شبهة مغالطية له، و زعمها حجة برهانية، و نحن قد فككنا عقدة ذلك الاعضال، و حللناها بعون الله تعالى.

السادس الذكر، الصورة الزايلة اذا عادت و حضرت سمى وجدانها ذكراً، وان لم يكن الادراك مسبوقا بالزوال لم يسم ذكراً، و لهذا قال الشاعر:

الله يعلم انـى لست اذكـره   وكيف اذكره اذ لست انساه

قال الفخر الرازى بعد اعادة الشبهة التى اصر عليها فى انها غيرممكنة الانحلال: وهاهنا سر اخر، وهو انك لما عجزت عن ادراك ماهية التذكـر والذكر، مع انه صفتك، وتجد من نفسك جملة انه يمكنك الذكر، فانـى يمكنك الوقوف على كنه المذكور، مع انه ابعد الاشياء مناسبة منك، فسبحان من جعل اظهر الاشياء اخفاها.

اقول: بعد ما علمت وجه انحلال تلك الشبهة ،اعلم: ان الله اقرب الاشياء الينا من جهة اصل ذواتنا، و انما خلقنا و هدانا لنتوصل الى اصل معرفته، و نصل الى دار كرامته، ونشاهـد حضرة الهيته، و نطالـع صفات جماله و جلاله، و لاجل ذلك بعث الانبياء و انزل الكتب من السماء، لا لان نكون من ابعد الابعدين و اشقى الاشقياء المتحيرين.

السابع المعرفة، وقد اختلف الاقوال فى تفسيرها، فمنهم مـن قال انها ادراك الجزئيات، و العلم ادراك الكليات، و اخرون قالوا: انهـا التصور، و العلم هو التصديق، وهؤلاء جعلوا العرفان اعظم رتبة مـن العلم

قالوا: لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة، و اماتصور حقيقة الواجب فامر فوق الطاقةالبشرية، لان الشيء مالم يعرف لايطلب ماهيته، فعلىهذا الطريق كل عالم عارف[٥٥]، و لاعكس كليا، و لذلك فان الرجل لايسمى عارفا الا اذا توغل فى ميادين العلم، و ترقى من مطالعها الى مقاطعها، و من مباديها الى غاياتها بحسب الطاقة البشرية.

وقال اخرون: من ادرك شيئاً وانحفظ اثره فى نفسه، ثم ادرك ذلك الشيء ثانيا، و عرف ان هذا ذاك الذى قد ادركه اولا، فهذا هو المعرفة، ثم فى الناس من يقول: بقدم الارواح، و منهم من يقول: بتقدمها على الاشباح، و يقول: انها هى الذر المستخرج من صلب آدم عليه السلام، وانها اقرت بالالهية ،و اعترفت بالربوبية، الا انها لظلمة العلاقة البدنية نسيت مولاها، فاذا عادت الى نفسها، متخلصة من ظلمة البدن وهاوية الجسم عرفت ربها وعرفت انها كانت عارفة به، فلاجرم سمى هذا الادراك عرفاناً،

الثامن الفهم، وهو تصور الشيء من لفظ المخاطب، والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع.

التاسع الفقه، وهو العلم بغرض المخاطب من كلامه يقال: فقهت كلامك، اى وقفت على غرضك من هذا الخطاب، ثم ان كفار قريش لما كانوا ارباب الشبهات و الشهوات، فما كانوا يقفون على ما فى كتاب الله من المنافع العظيمة، لاجرم قال تعالى: لايكادون يفقهون حديثا[٥٦]، اى لايقفون على المقصود الاصلى و الغرض الحقيقى.

العاشر العقل، و يقال: على انحاء كثيرة، احدها الشيء الذى به يقول الجمهور فى الانسان انه عاقل،وهوالعلم بمنافع الامور و مضارها، و حسن الافعال و قبحها، و الثانى العقل الذى يردده المتكلمون، فيقول المعتزلة منهم به كقولهم: هذا مايوجبه العقل و ينفيه العقل، و الثالث ماذكره الفلاسفة فى كتاب البرهان، و الرابع مايذكر فى كتب الاخلاق المسمى بالعقل العملى، والخامس العقل الذى يذكر فى احوال النفس

٥٥ـ كل عارف عالم ـ المطبوعة ٥٦ـ نساء ٧٨

الناطقة و درجاتها، والسادس العقل الذى يذكر فى العلم الالهى وما بعد الطبيعة.

اما العقل الذى يقول به الجمهور فى الانسان، فان مرجعه الى الحيلة وجودة الروية فى استنباط الامور الدنياوية، وذلك انهم قالوا فى مثل معاوية انه عاقل، وربما قيل: ان العاقل ليس يكون عاقلا مالم يكن له دين، وان الشرير وان بلغ فى جودة الروية فى استنباط الشرور مابلغ، لم يسموه عاقلا.

واما العقل الذى يردده المتكلمون، فانما يعنون به المشهور فى بادى رأى الجميع، فان بادى الرأى المشترك عند الجميع او الاكثر يسمونه العقل، كما يظهر من استقراء اشياء يتخاطبون بها او يكتبون فى كتبهم مما يستعملون فيها هذه اللفظة.

واما العقل الذى ذكره الفلاسفة فى علم البرهان، فانما يعنى به قوة النفس التى بها يحصل للانسان اليقين بالمقدمات الكلية الصادقة الضرورية لاعن قياس وفكرة، بل بالطبع و الفطرة.

واما العقل المذكور فى كتب الاخلاق، فانما يراد به جزء النفس الذى يحصل به المواظبة على اعتقاد شيء شيء على طول الزمان، من باب قضايا و مقدمات فى جنس الامور الارادية، التى شأنها ان تؤثر او تجتنب، فالعقل بهذا المعنى مبدأ التعقل و الرأى، فيما سبيله ان يستنبط هذه القضايا و المقدمات، و نسبة هذه القضايا الى مايستنبط بها، كنسبة تلك القضايا الاول التى هى مذكورة فى كتاب البرهان الى مايستنبط بها، وكما ان تلك مبادى لاصحاب العلوم النظرية، كذلك هذه مبادى للاراء العلمية فيما من شأنه ان يستنبط من الامور الارادية، ومن شأنه ان يزيد مع الانسان طول عمره، و يتفاضل فيه الناس تفاضلا متفاوتا.

واما العقل المذكور فى علم النفس فهو على اربعة انحاء، قوة و استعداد وكمال وفوق الكمال، فالاول هوالعقل الهيولانى، و الثانى العقل بالملكة، و الثالث العقل بالفعل، والرابع العقل الفعال، وهو الذى فيه صور الموجودات بالفعل، و نسبته الى نفوسنا كنسبة الشمس الى ابصارنا.

واما العقل الذى يذكر فى العلم الالهى و علم مابعد الطبيعة و ما قبلها ايضاً بوجه، فهو الجوهر المفارق عن الأجسام و احوالها، فى الذات و فى‌الصفات وفى الافعال جميعاً، وفى كل من هذه المعانى ابحاث و تحقيقات لايعرفها الا الكاملون فى العلم و التحقيق.

الحادى عشر الحكمة، وهى ايضاً يطلق لمعانـى، فتارة يطلق اسمها لكل علم حسن وعمل صالح، وهو بالعلم العملى اخص منه بالعلم النظرى، وتارة يطلق على نفس العمل فى‌كثير من الاستعمالات، وفيها يقال: احكم العمل احكاما، اذا اتقنه، وحكم بكذا حكما، والحكمة من الله تعالى خلق مافيه منفعة العباد و رعاية مصالحهم فى الحال او فى المآل، و من العباد ايضاً كذلك، ثم قد حدت الحكمة بالفاظ مختلفة، فقيل: هى معرفة الاشياء بحقايقها، و هذا اشارة الى ان ادراك الجزئيات لاكمال فيه، لانها ادراكات متغيرة، فاما ادراك الحقايق و الماهيات، فانها باقية مصونة عن النسخ و التغير، و قيل: هى‌الاتيان بالفعل الذى له عاقبة محمودة، وقيل: هـى الاقتداء بالخالق تعالى فى السياسة بقدر الطاقة البشرية، و قيل: هى التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية، و ذلك بان يجتهد فى‌ان ينزه علمه عن الجهل، وفعله عن‌الجور، وجوده عن‌البخل، و حلمه عن‌السفه.

الثانى‌عشر الدراية، وهى المعرفة الحاصلة بضرب من الحيل، و هو تقديم المقدمات و استعمال الرويـة، و اصله من دريت الصيد، و المدرى يقال: لمايصلح به الشعر، و قيل: لايصح اطلاقه على الله، لامتناع الفكر و الحيلة عليه تعالى.

الثالث عشر الذهن، وهو قوة النفس علـى اكتساب العلوم التى هى غير حاصلة، و تحقيق القول فيه: ان الله تعالى خلق الروح الانسانى خاليا عن تحقق الاشياء و عن‌العلم بها، كما قال: اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا[٥٧]، لكنه ماخلق الارواح الا للمعرفة والطاعة على ما قال: وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون[٥٨]، والعبادة و هى التقرب اليه مشروطة

٥٧ـ نحل ٧٨ ٥٨ـ ذاريات ٥٦

بالعلم، ونتيجةللعلم ايضاً كما قال: اقم الصلوة لذكرى[٥٩]، فالعلم هو الاول والاخر، ولابـد منه على كل حال، فلابـد للنفس ان يكون متمكنة مـن تحصيل هذه المعارف و العلوم، فاعطى الحق لنا من الحواس ما اعاننا على تحصيل هذا الغرض، فقال فـى السمع، و هديناه النجدين[٦٠]، و قال فـى البصر: سنريهم اياتنا فى الافاق و فى انفسهم[٦١]، و قال فى الفكر: و فـى انفسكم افـلا تبصرون[٦٢]، فاذا توافقت هذه القوى و الالات، صار الروح الجاهل عالما، و هو معنى قولـه: الـرحمن علم القرآن[٦٣]، فالحاصل ان استعداد النفس لتحصيل هذه المعارف هو الذهن.

الرابععشر الفكر، وهو انتقال النفس الى المعلومات التصديقيه و التصورية من معلوماتها المستحضرة فيها، و تخصيص جريان الفكر فىباب التصديقات دون التصورات، كما فعله الامام الرازى مما لاوجه له، وقد اجبنا عن شبهة التى اصر عليها فى جميع كتبه بما لايبقى معه ريب ولاشك،

وفى بعض كتب شيخ ابىعلىسينا،: ان الفكر فى استنزال العلوم من عند الله يجرى مجرى التضرع فى استنزال النعم و الحاجات من عنده، و قال ايضاً فى بعض رسائله: القوة العقلية اذا اشتاقت الى شىء من الصور العقلية، تضرعت بالطبع الى المبدأ الواهب، فان ساحت[٦٤] عليها على سبيل الحدس، كفت المؤنة، والا فزعت الى حركات من قوى اخرى، من شأنها ان يعدها لقبول الفيض، لمشاكلة بين النفس و بين شىء من الصور التى فى عالم الفيض، فيحصل له بالاضطرابات مالم يكن يحصل له بالحدس و القوة الفكرية، كما فى قوله تعالى: و علمك مالم تكن تعلم[٦٥] الاية.

الخامسعشر الحدس، ولاشك ان الفكر لايتم عمله الا بوجدان شىء متوسط بينطرفىالمجهول، لتصيرالنسبة المجهولة معلومة، وكذا مايجرى مجراه فىباب الحدود للتصور، لماتقرران الحد والبرهان متشاركان فـى

٥٩ــ طه ١٤
٦٠ــ بلد ١٠
٦١ــ فصلت ٥٣
٦٢ــ ذاريات ٢١
٦٣ــ رحمن ١ و ٢
٦٤ــ اى جرت
٦٥ــ نساء ١١٣

الاطراف و الحدود، و النفس حال كونها جاهلة، كأنها واقعة فى ظلمة ظلماء، فلابد من قائد يقودها، او روزنة[٦٦] يضىء لها موضع قدمها، و ذلك الموضع هو المتوسط بين الطرفين، وتلك الروزنة هى التحدس بذلك دفعة، فاستعداد النفس لوجدان ذلك المتوسط بالتحدس هو الحدس.

السادس عشر الذكاء، وهو شدة هذا الحدس، و كماله و بلوغه الغاية القصوى هو القوة القدسية التى وقع فى وصفها قوله تعالى: يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار[٦٧]، وذلك لان الذكاء هو الامضاء فى الامور وسرعة القطع بالحق، واصله من ذكت النار و ذكت الذبح، و شاة مذكاة، اى يدرك ذبحها بحدة السكين.

السابع عشر الفطنة، وهى عبارة عن التنبه بشىء قصد تعريضه، و لذلك فانها تستعمل فى الاكثر فى استنباط الاحاجى و الالغاز.

الثامن عشر الخاطر، الخطور حركة النفس لتحصيل الدليل، وفى الحقيقة ذلك المعلوم هو الخاطر بالبال و الحاضر فى النفس، و لذلك يقال: هذا خطر ببالى، الا ان النفس لما كانت محلا لذلك المعنى الخاطر، جعلت خاطراً تسمية للمحل باسم الحال.

التاسع عشر الوهم، وهو الاعتقاد المرجوح، وقد يقال: انه عبارة عن الحكم بامور جزئية غير محسوسة، لاشخاص جزئية جسمانية، كحكم السخلة[٦٨] بصداقة الام و عداوة الذئب، وقد يطلق على القوة التى يدرك هذا المعنى، وهى الواهمة، واعلم ان الواهمة عندنا ليست جوهراً مباينا للعقل والخيال والحس، بل هى عقل مضاف الى الخيال او الحس، و كذا مدركات الواهمة معقولات مضافة الى الامور الجزئية الحسية او الخيالية، اذ العوالم منحصرة فى الثلاثة، فالنفس اذا رجعت الى ذاتها، صارت عقلا مجرداً عن الوهم وعن النسبة الى الاجسام، و كذا الموهومات اذا صحت وزالت عنها الاضافات، صارت معقولات محضة، و بالجملة الوهم ليس الا نحو توجه العقل الى الجسم وانفعاله عنه، و الموهوم ليس الامعنى معقول مضاف الى

٦٦ــ الروزنة جمعها الروازن اى الكوة (فارسية)

٦٧ــ نور ٣٥ ٦٨ــ ولدالشاة

مادة شخصية.

العشرون الظن، وهو الاعتقاد الراجح، و هو متفاوت الدرجات قوة و ضعفا، ثم ان المتناهى فى القوة قديطلق عليه اسم العلم، فلاجرم قد يطلق على العلم ايضاً اسم الظن، كما قاله المفسرون فى قوله تعالى: يظنون انهم ملاقوا ربهم[٦٩]، ولهم فى ذلك وجهان، احدهما التنبيه على ان علم اكثر الناس ما داموا فى الدنيا بالاضافة الى علومهم فى الاخرة كالظن فى جنب العلم، و الثانى ان العلم الحقيقى فى الدنيا لايكاد يحصل الا للنبيين و الصديقين، الذين ذكرهم الله فى قوله: الذين امنوا بالله ورسله ثم لم يرتابوا[٧٠].

الواحد و العشرون علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين، فالاول التصديق بالامور النظرية الكلية مستفاداً من البرهان، كالعلم بوجود الشمس للاعمى، و ثانيها مشاهدتها بالبصيرة الباطنة، كمشاهدة عين الشمس بهذا البصر، و الثالث صيرورة النفس متحدة بالمفارق العقلى الذى هو كل المعقولات، ولايوجد له مثال فى عالم الحس لعدم امكان الاتحاد بين شيئين فى الجسمانيات.

الثانى و العشرون البديهة، و هى المعرفة الحاصلة للنفس فى اول الفطرة من المعارف العامية التى يشترك فى ادراكها جميع الناس.

الثالث و العشرون الاوليات، وهى البديهيات بعينها، الا انها كما لايحتاج الى وسط، لايحتاج الى شىء آخر، كاحساس او تجربة او شهادة او تواتر او غيرذلك، سوى تصور الطرفين و النسبة.

الرابع و العشرون الخيال، وهو عبارة عن الصورة الباقية فى النفس بعد غيبة المحسوس، سواء كانت فى المنام او فى اليقظة، وعندنا ان تلك الصورة ليست موجودة فى هذا العالم، ولاارتسمت فى قوة من قوى البدن، كما اشتهر من الفلاسفة انما مرتسمة فى مؤخر التجويف الاول من الدماغ، وليست ايضاً منفصلة عن النفس موجودة فى عالم المثال المطلق، كما رآه الاشراقيون، بل هى موجودة فى عالم النفس الانسانية، مقيدة متصلة بها،

٦٩ــ بقره ٤٦ ٧٠ــ حجرات ١٥

قائمة باقامتها، محفوظة مادامت تحفظها، فاذا ذهلت عنها غابت، ثم اذا استرجعتها وجدت متمثلة بين يديها، و القوة الخيالية المدركة لها ايضاً جوهر مجرد عن هذا العالم و اجسامه و اعراضه، وهى من بعض درجات النفس، متوسطة بين درجة الحس و درجة العقل، فان النفس مع انها بسيطة ذات نشآت ومقامات بعضها اعلى من بعض، وهى بحسب كل منها فى عالم آخر.

الخامس و العشرون الروية، وهى ماكان من المعرفة بعد فكر كثير، وهى من روى.

السادس و العشرون الكياسة، وهى تمكن النفس من استنباط ماهو انفع للشخص، ولهذا قال النبى صلى‌الله عليه و آله: الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و ذلك لانه لاخير يصل اليه الانسان افضل مما بعد الموت.

السابع و العشرون الخبر بالضم، وهو معرفة يتوصل اليها بطريق التجربة.

الثامن و العشرون الرأى، و هو اجالة الخاطر فى المقدمات التى يرجى منها انتاج المطلوب، وقد يقال للقضية المستنتجة من الرأى: رأى، والرأى للفكرة كالالة للصانع، و لهذا قيل: اياك و الرأى الفطير، وقيل: دع الرأى تعب.

التاسع و العشرون الفراسة، و هى الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن، وقد نبه الله بقوله: ان فى ذلك لايات للمتوسمين[۷۱]، و قوله: تعرفهم بسيماهم[۷۲]، وقوله: و لتعرفنهم فى لحن القول[۷۳]، و اشتقاقه من قولهم: فرس السبع الشاة، فكان الفراسة اختلاس المعارف، و ذلك ضربان: ضرب يحصل للانسان من خاطر لايعرف له سبب، و ذلك ضرب من الالهام، بل ضرب من الوحى، واياه عنى رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله كما هو المشهور: ان من امتى لمحدثين، و بقوله صلى‌الله عليه و آله: اتقوا

۷۱ـ حجر ۷۵ ۷۲ـ بقره ۲۷۳
۷۳ـ محمد ۳۰

فراسة المؤمن، فانه ينظر بنور الله، و يسمى ذلك النفث فى الروع.

وضرب آخر (الثلاثون) مايكون بصناعة متعلمة[۷۴]، وهى الاستدلال بالاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة، و قال اهل المعرفة فى قوله: افمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد[۷۵]: ان البينة هو القسم الاول، و هو الاشارة الى صفاء جوهر الروح، و الشاهد هو القسم الثانى، وهوالاستدلال بالاشكال على الاحوال.

المشهد الثامن

فى‌اثبات العلوم الربانية المسماة باللرنية

اعلم هداك الله، ان كثيرا من المنتسبين الى العلم ينكرون العلم الغيبى اللدنى الذى يعتمد عليه السلاك و العرفاء، وهو اقوى و احكم من ساير العلوم، قائلين: ما معنى للعلم الا الذى حصل من تعلم او فكر و روية، و ربما زعموا ان العلم الحقيقى منحصر فى الفقه و ظاهر التفسير و الكلام حسب، وليس ورائها علم، و هذا ظن فاسد، و القائل به كأنه لم‌يعرف بعد معنى القران، و لم‌يصدق بانه بحر محيط مشتمل على جميع الحقايق، اذ ليس جميع معانيه ماهو المذكور فى هذه التفاسير العامية المشهورة المنسوبة الى القشيرى و الثعلبى و الواحدى و الزمخشرى و غيرهم، وقد جرت العادة بانكار كل احد ماوراء معلومه، و هؤلاء المقلدون ما ذاقوا شراب الحقيقة، و هذا المرض المزمن، اعنى الوقوف فى مرتبة التقليد لمذاهب الاباء و المشايخ، و الجمود على مقام نقل الالفاظ، والانكار لماوراء المسموع، اذا استحكم و رسخ فى القلب لايمكن علاجه و حسم مادته، الا ان من لم‌يترسخ هذا الداء فى باطنه، يمكن دوائه بان يعلم اولا اقسام العلوم و مأخذها و فوايدها، ليعلم ان العلم اللدنى ماهو، ولم‌هو، حتى يصدق بوجوده.

۷۴ـ كانه مكان المعنى الثلاثين كما اشاراليه‌فى‌اول المشهد السابع حيث قال فى البحث عن معانى الالفاظ: يظن بها انها مرادفة للعلم، وهى ثلاثون.

۷۵ـ هود ۱۷

فنقول: ان العلم و هو الصورة الحاضرة لحقایق الاشیاء عند الجوهر العاقل علی قسمین، احدهما شرعی، و الاخر عقلی، و اکثر العلوم الشرعیة عقلیة عند عالمها، و اکثر العلوم العقلیة شرعیة عند ماهرها، و من لم یجعل الله له نورا فما له من نور[۷۶].

اما العلم الشرعی فینقسم الی قسمین: علم اصول و علم فروع، اما علم الاصول فهو علم التوحید و الرسالة و الکتابة و النبوة والامامةوالمعاد، والمؤمن الحقیقی من علم هذه الاصول عرفاناً یقینیاً کشفیا او برهانیا، و الیه اشیر فی قوله: آمن الرسول بما انزل الیه من ربه والمؤمنون کل آمن بالله وملائکة وکتبه و رسله[۷۷] الایة، واما علم الفروع فهو العلم بالفتاوی والاحکام و القضایا و الحکومات و المناکحات وغیرها، و القران بحر محیط بالکل، وفیه من المشکلات الکثیرة مالا یحیط به کل عقل، الا من اعطاه الله فهما فی کتابه، و فقهه فی الدین و علمه علم الیقین، و فی الحدیث لکل حرف من حروف القران حد، و لکل حد مطلع و الله تعالی بین فی القران جمیع العلوم بحقایق الاشیاء محسوسها و معقولها، جلیها و خفیها، صغیرها و کبیرها، و الی هذا اشار بقوله: ولارطب ولایابس الا فی کتاب مبین[۷۸].

اما القسم الثانی من العلم و هو القسم العقلی، فهو علم مشکل یقع فیه الصواب و الخطاء، و من عرفه حق المعرفة یرجع بالحقیقة اصوله الی اصول الشریعة، و فروعه الی فروعها، واما اصوله فهی نظریة و عملیة، اما لنظریة فموضوعها فی ثلاث مراتب، باعتبار القرب و البعد عن الاجرام الکونیة، فاعلاها مرتبة الالهیات، واوسطها الریاضیات و ادناها الطبیعیات، و اما العملیة فهی ایضاً ثلاثة اقسام: علم تهذیب الاخلاق، و علم تدبیر المنزل، و علم تدبیر المدینة، واما فروع هذه العلوم فهی ایضاً کثیرة، لیس هذا المقام موضع تفصیلها.

اذا عرفت هذه المقدمة فاعلم: ان العلم الانسانی یحصل من طریقین:

۷۶ـ نور ۴۰ ۷۷ـ بقره ۲۸۵

۷۸ـ انعام ۵۹

احدهما التعلم و الكسب، و ثانيها الوهب و الجذبة، و هو الاعلام الربانى، اما التعلم فهو اما من خارج و اما من داخل، اما الاول فطريق معهود بين الناس مسلوك محسوس، و هو التعلم بحسب القاء الالفاظ المسموعة من الأستاذ البشرى، و الكتابة المنقوشة منه، واما الثانى وهوالتعلم من الداخل، فهو الاشتغال بالتفكر، اذ التفكر فى الباطن بمنزلة التعلم فى الظاهر، الا ان التعلم استفادة الشخص الجزئى، و التفكر هو استفادة النفس من النفس الكلية، وهى اشد تأثيراً و اقوى تعليماً من جميع العلماء و العقلاء، والعلوم مركوزة فى اصل النفس، و سنخها بالقوة كالبذر فى الارض، و كالصورة فى المرآة قبل ان تذاب و تصيقل، و التعليم اخراج ذلك الشىء الذى بالقوة الى الفعل، فالعالم بالافادة كالزارع، و نفس المتعلم كالارض المزروعة، و العلم بالقوة فيها كالبذر و النواة فى الارض، يثمرها المعلم بسقى التعليمات المتتالية، و ازالة اشواك الشكوك، وتهذيبها عن نباتات الاعتقادات الردية المفسدة، و اذ كملت نفس المتعلم، يكون كالشجر المثمر، او كالمرآة المصقولة المحاذية شطر صورة المطلوب بعد خروجها عن حد القوة المحضة، التى لها فى اوان الطفولية، كالحديد بعد ان تذوب، و بعد تصقيلها عن رين المعاصى و الشبهات، كالمرآة عند ازالة طبعها و رينها بالصقالة، و بعد رفع حجب التقليد، كالمرآة الخارج عن غلافها، و بعد توجيه وجهها شطر الحق، كالمرآة التى يحاذى بها نحو الصورة، فاذا غلبت القوى البدنية على النفس بحسب دواعيها، كالشهوة والغضبوغيرها، يحتاج المتعلم الى زيادة المشقة و طول الكسب و كثرة التعلم، فاذا غلب العقل على اوصاف الحس و دواعيه، استغنى الطالب بقليل التفكر عن كثير التعلم، و رب عالم تفكر ساعة منه خير من تعلم سنة من الجاهل، فقد ظهر ان بعض الناس يحصلون العلوم بالتعلم، و بعضهم بالتفكر، و التعلم يحتاج الى التفكر من غيرعكس.

واما التعليم الربانى من غيرواسطة فقد يحصل منه وراء هذه العلوم، وهى علوم اخروية، عمل بمقتضاها و ظفر بها علماء الاخرة، المعرضون عن الدنيا، و الزاهدون فيها، و حرمها الله على علماء الدنيا الراغبون فيها،

وهی علوم کشفیة، لایکاد النظر یصل الیها الابذوق و وجدان، کالعلم بکیفیة حلاوة السکر، لایحصل بالوصف، فمن ذاقه عرفه، و ذلك علی وجهین:

الوجه الاول القاء الوحی، و هوان النفس اذا کانت مقدسة عن دنس الطبیعة و درن المعاصی، مطهرة عن الرذایل الخلقیة، مقبلة بوجهها الی بارئها ومشیتها متوکلة علیه معتمدة علی افاضته، فالله تعالی ینظر الیها بحسن عنایته، و یقبل علیها اقبالا کلیا، و یتخذ منها لوحا، و من العقل الکلی قلما، و ینقش من لدنه فیها جمیع العلوم، کما قال: و علمناه من لدنا علما[۷۹]، و یصیر العقل الکلی کالمعلم، و النفس القدسی کالمتعلم، فیحصل جمیع العلوم له، و یتصور الحقایق من غیر تعلم، کمافی قوله مخاطبا لنبیه صلی‌الله علیه وآله: ماکنت تدری ما الکتاب ولا الایمان، ولکن جعلناه نوراً نهدی به من نشاء من عبادنا[۸۰]، وقوله: وعلمك مالم تکن تعلم[۸۱]، و هذا النحو من العلم اشرف من جمیع علوم الخلایق، لان حصوله عن الله بلاواسطة، و کان اعلم الناس صلی الله علیه و آله یقول: ادبنی ربی فاحسن تأدیبی.

الوجه الثانی وهو الالهام، وهو استفاضة النفس بحسب صفائها و استعدادها عما فی اللوح، و الالهام اثر الوحی، و الفرق بینهما بان‌الوحی اصرح و اقوی من الالهام، و الاول یسمی علما نبویاً، و الثانی لدنیا، وانما کان کالضوء من سراج الغیب یقع علی قلب صاف فارغ، و ذلك لان‌العلوم کلها موجودة فی النفس الکلیة التی هی من الجواهر المفارقة الاولیة المحضة، و نسبتها الی العقل الکلی کنسبة حوا الی آدم، و قد بین ان‌العقل الکلی اشرف من النفس الکلیة، فمن افاضة العقل الکلی یتولد الوحی،ومن اشراق النفس الکلیة یتولد الالهام.

وفی احادیث ائمتنا علیهم السلام ما رواه مروان بن مسلم عن یزید عن ابی‌جعفر و ابی‌عبدالله علیهما السلام فی قوله عزوجل: وما ارسلنا

۷۹ــ کهف ۶۵ ۸۰ــ شوری ۵۲
۸۱ــ نساء ۱۱۳

من قبلك من رسول ولانبى[٨٢] ولامحدث، قلت: جعلت فداك، هـذه ليست قرائتنا، فما الرسول و النبى و المحدث؟ قال الرسول الذى يظهر له الملك فيكمله، و النبى هو الذى يرى فى منامه، و ربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد، و المحدث الذى يسمع الصوت ولايرى الصورة، و معناه ان نفس الولى يستفيد العلوم من الملك الحامل للعلوم، ولكن لايعاين صورته، لان ذلك شأن الرسول بما هو رسول، و بالجملة الالهام مما يشترك فيه الانبياء والاولياء جميعاً، و اما الوحى فانه مخصوص بالانبياء، لانه متضمن للنبوة و الرسالة، فالنبوة هى قبول النفس القدسية حقايق المعلومات عن جوهر العقل الكلى بالمخاطبة الروحانية و الحديث القدسى، و الرسالة تبليغ ذلك الى المستفيدين و التابعين، و ربما يتفق القبول لنفس و لايتأتى له التبليغ، كما قال تعالى فى حق خضرعليه‌السلام: و علمناه من لدنا علماً[٨٣]، قال امير المؤمنين عليه‌السلام: ان رسول الله صلى الله عليه و آله: ادخل لسانه فى فمى، فانفتح فى قلبى الف باب العلم، مع كل باب الف الف باب، وقال: لوثنيت لى وسادة و جلست عليها، لحكمت لاهل التورية بتوريتهم، و بين اهل الانجيل بانجيلهم، ولاهل القرآن بقرآنهم، و هذه المرتبة لايحصل لاحد بمجرد التعلم الانسانى، بل بقوة العلم اللدنى، و كذا قال عليه السلام: انه يحكى عن[٨٤] عهد موسى عليه السلام انه شرح كتابه اربعين، فلو يأذن الله لى لاشرع فى شرح معانى الف الفاتحة، حتى يبلغ مثل ذلك، يعنى اربعين، و معلوم ان هذه السعة والانفتاح فى العلم لايكون الا الهاميا لدنياً.

تنبيه

و اعلم ان الفرق بين الوحى و الالهام يكون بوجه اخر، و ان كان مرجعه و مرجع ما ذكر اولا شيئاً واحداً، وهو ان الالهام قد يحصل من الحق تعالى من غير واسطة الملك بالوجه الخاص الذى له مع كل موجود،

٨٢- حج ۵٢ ٨٣- كهف ۶۵

٨٤- عمن ن م

و الوحی یحصل بواسطة، و لذلك لایسمی الاحادیث القدسیة بالوحی و القران، و ان کانت هی ایضاً کلام الله، و سبب ذلك: ان النبی صلی الله علیه وآله لکمال جوهره النبوی اتسعت نفسه، و انشرح قلبه، و قویت قواه و مشاعره کلها، فیشاهد صورة ما فی جمیع العوالم و النشأت، فیتمثل له الملك الحامل فی عالم التمثل الباطنی و الحس الداخلی، کما یدرکه ایضاً فی العالم الروحانی المحض، فلایتلقی المعارف الا فی مقام الارواح المجردة عن عالم التمثل، فالاول یسمی وحیا باعتبار قوة الوارد، و شدة المکاشفة، و شهود الملك و سماع کلامه، و الثانی یسمی الهاماً و تحدیثا، فالوحی من الکشف الشهودی المتضمن للکشف المعنوی، و الالهام من المعنوی فقط، و ایضاً الوحی من خواص النبوة کما مر، لتعلقه بالظاهر، و الالهام من خواص الولایة، و ایضاً هو مشروط بالتبلیغ دون الالهام.





المفتاح الرابع

فی مراتب الکشف و مبادیه و اقسام الالهامات و الخواطر و الوساوس و اسبابها من الملائکة و الشیاطین، و فیه مشاهد:

المشهد الاول

فی انواع المکاشفة علی الاجمال

اعلم ان الکشف کما اشیر الیه قسمان: صوری و معنوی، و اعنی بالصوری مایحصل له فی عالم المثال من طریق الحواس الخمس، و سبب ذلک یحتاج شرحه الی کلام طویل، یظهر منه ان للنفس فی ذاتها سمعاً و بصراً و شما و ذوقا و لمساً، فالمکاشفة الصوریة قدتکون علی طریق المشاهدة البصریة، کرؤیة المکاشف صور الارواح المتجسدة و الانوار الروحانیة، واما ان یکون علی طریق السماع، کسماع النبی صلی الله علیه وآله الوحی النازل علیه کلاماً منظوماً، او مثل صلصلة الجرس و دوی النحل، کما جاء فی الحدیث، فانه صلی الله علیه و آله کان یسمع ذلک و یفهم المراد منه، او علی سبیل الاستنشاق، و هو التنسم بالنفحات الالهیة، و التنشق بالفتوحات الربوبیة، کما اخبر عنه بقوله صلی الله علیه و آله: ان لله فی ایام دهرکم نفحات، الا فتعرضوا لها، و قال ایضاً: انی لاجد نفس الرحمن من قبل الیمن، او علی سبیل الملامسة وهی بالاتصال بین النورین او بین الجسدین

المثاليين، كما قال ابن‌عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى‌الله عليه وآله: رأيت ربى تبارك وتعالى فى احسن صورة، فقال: فيمن يختصم الملأ الاعلى يا محمد، قلت: انت اعلم اى ربى مرتين، قال فوضع الله كفه بين كتفى، فوجدت بردها بين ثديى، فعلمت ما فى السموات، ثم تلا هذه الاية: و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات و الارض و ليكون من الموقنين[1]، او على طريق الذوق، كمن يشاهد انواعا من الاطعمة، فاذا ذاق منها و اكل، اطلع على معان غيبية، قال النبى صلى‌الله عليه و آله: رأيت انى اشرب اللبن حتى خرج الرى من اظفارى، فاولت ذلك بالعلم، وقد يجتمع بعض هذه المكاشفات مع بعض، وقد ينفرد، و كلها تجليات اسمائية، اذ الشهود البصرى من تجليات الاسم البصير، و السماع من الاسم السميع، وكذلك البواقى، اذ لكل منها اسم يربيه، وكلها من سوادن الاسم العليم.

ثم انواع الكشف الصورى اما ان يتعلق بالحوادث الدنيوية اولا، فان كانت متعلقة بها فيسمى رهبانية، و ان لم‌يكن متعلقة بها فهى معتبرة، و اهل السلوك العلمى لعدم وقوف هممهم العالية فى الامور الدنياوية، لايلتفتون الى هذا القسم من الكشف، لصرفها فى الامور الاخروية و احوالها، و يعدون ذلك من قبيل الاستدراج او المكر بالعبد، بل كثير منهم لايلتفتون الى الكشف الاخروى ايضاً، و هم الذين جعلوا غاية مقصدهم و منتهى غرضهم الفناء فى الله و المحو فى جنابه.

و هذه المكاشفات الصورية قد تكون مع اطلاع على المعانى الغيبية، بل اكثرها يتضمن المكاشفات المعنوية، فيكون اعلى مرتبة و اكثر يقينا لجمعها بين الصورة و المعنى، و منبع هذه المكاشفات هو القلب الانسانى، اى نفسه الناطقة المنورة بالعقل العملى، المستعمل لحواسه الروحانية، وقد مران للنفس فى ذاتها عينا و سمعاً و غير ذلك كما اشار اليه بقوله: فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور[2]، و فى الاحاديث المشهورة ما يؤيد ذلك كثيرة، و تلك الحواس الروحانية هى اصل هذه الحواس الجسمانية، فاذا ارتفع الحجاب بينها و بين هذه الخارجية، يتحد

۱ــ انعام ۷۵ ۲ــ حج ٤٦

الاصل مع الفرع، فيشاهد بهذه الحواس ما يشاهد بها، و الروح يشاهد جميع ذلك بذاته، لان هذه الحقايق يتحد فى مرتبته عند كونه فى مقام العقل، لان العقل كل الموجودات كما بيناه فى العلوم النظرية، و اقمنا البرهان عليه على مايناسب اهل النظر، و براهين هذه المقدمات كلها يوجد فى مقالاتنا و مسفوراتنا، قد ذكرناها هاهنا مجردة عن البراهين، جريا على عادة القوم.

و اما الكشف المعنوى، المجرد من صور الحقايق، الحاصل من تجليات الاسم العليم الحكيم، وهو ظهور المعانى الغيبية و الحقايق العينية، فله ايضا مراتب، او لها ظهور المعانى فى القوة المفكرة من غير استعمال المقدمات و تركيب القياسات، بل بان ينتقل الذهن من المطالب الى مباديها، و يسمى بالحدس، ثم فى القوة العاقلة المستعملة للمفكرة، ويسمى بالنور القدسى، و الحدس من لوامع انواره، فهى ادنى مراتب الكشف، ثم فى مرتبة القلب و يسمى بالالهام، ان كان الظاهر معنى من المعانى، لاحقيقة من الحقايق و روحا من الارواح، و الا فيكون مشاهدة قلبية، ثم فى مقام الروح و يسمى بالشهود الروحى، وهى بمثابة الشمس المنورة لسموات مراتب الروح و اراضى مراتب الجسد، فهو بذاته اخذ من الله العليم الحكيم المعانى الحقيقية من غير واسطة على قدر استعداده، اى قوة قبوله الاصلى، و يفيض على ما تحته من القلب و قواه العالية و السافلة.

المشهد الثانى

فى الفرق بين الالهام و الوسوسة واثبات مبداهما، و هما الملك الملهم للخيره والشيطان الموسوس للشر، ولهذا الباب اصول:

الاصل الاول: اعلم ان التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين الذين هم فى اعلا عليين، و منهم تفيض الخيرات الى اتباعهم و جنودهم، و التجرد لمحض الشر سجية الشياطين المردودين، الذين هم فى اسفل سافلين، و منهم يتعدى الشرور الى اتباعهم و جنودهم، و الرجوع الى

الخير بعد الوقوع فى الشر ضرورة الادميين، فالمتجرد للخير ملك مقرب، و المتجرد للشر شيطان لعين، و المتلافى للشر بالرجوع الى الخير انسان، فقد ازدوج فى طينة الانسان شائبتان، و اصطحب فيه سجيتان، و كل عبد مصحح نسبته اما الى الملك او الى الشيطان، لانه فى اول الفطرة له قوة قبول اثار الجميع، و انما يخرج من القوة الى الفعل بمزاولة اعمال ينشأ منها للقلب احوال، اما الاعمال الحسنة فتورث للقلب صفاء و ضياء يستعد به لقبول الهام الملك، و اما الاعمال القبيحة فتورث للقلب ظلمة وكدورة يستعد بها لقبول وسوسة الشيطان.

اصل اخر

اذا علمت هذا فاعلم: ان النفس الانسانية مما خلقها الله ذات‌وجهين: وجه الى الجنبة العالية، وهو بابه الداخلى الى عالم الملكوت و الغيب، و وجه الى الجنبة السافلة وهو بابه الخارجى الى عالم الملك و الشهادة، و كل منهما مما يؤثر فيها اثاره المختصة، و النفس يتغير منها و ينقلب فى الاطوار، حتى ينخرط اما فى زمرة الملائكة، او فى حزب الشياطين، او يتردد بينهما.

وبيان ذلك: بان وجهها الذى الى هذا العالم يتوجه الى قوى و مشاعر، ولكل منها لذة فى ادراك مايلايمها او ما يماثلها، و الماً فى ادراك ما يخالفها او يضادها، و اللذيذ و المولم لكل منها، غير اللذيذ و المولم للاخرى، فللبصر المبصرات، للسمع المسموعات، و للمس الملموسات، و للشم المشمومات، وللذوق المذوقات، وللوهم الرجاء و الخوف، هذا للمدركات، و اما للحركات، فلذة قوة الشهوة‌فى حصول المشتهيات، والمها فى فقدها او حصول اضدادها، و لذة قوة الغضب فى الظفر و الانتقام، و المها فى نقيضها، فالقوة الباصرة مثلا اذا ادركت موجوداً فى الخارج، اى حصلت فيها صورته، لزم من حصول هذه الصورة البصرية صورة اخرى فى حضرة الخيال، فتقف النفس عليها، وعند الوقوف على صورة ملذة او مولمة يحدث اثر فى النفس يسمى بارادة او كراهة، و كما يحصل هذه

الاثار لها من الخارج من جهة الابواب الخارجة الى عالم الملك، فكذلك يحصل من الداخل من جهة الباب الداخلانى النافذ الى باب الملكوت، فالنفس لاتخلو ابداً من تداخل هذه الاثار المتوجهة اليها فى كل حال، اما من الظواهر كالحواس الخمس، و اما من البواطن كمبادي التخيلات و الخواطر، و على اى الوجهين قد يبقى الاثار، و ان زالت الاسباب،لكونها معدات، او لاترى انك اذا استعملت الحواس حصل بوسيلة كل حس صورة فى الخيال، ثم يبقى الخيالات و ان كففت عن الاحساس بها، ثم ينتقل الخيال من شيء الى شيء، و بحسبها ينتقل النفس من حال الى حال، الى ان يصير هذه الاحوال ملكات راسخة.

اصل اخر

ثم ان لكل جنس من اجناس هذه الملكات مبدأ نفسانية و قوة استعدادية، يستعد بها النفس لان يحصل لها صورة يحشر عليها فى الدار الاخرة، فكما ان لكل صفة جسمانية صورة جوهرية تناسبها، و هى مبدؤها الذاتى يسمى عند الفلاسفة بالصور النوعية لهذه الاجسام، و تلك الصفة يكون لتلك الصورة الجوهرية امرا لازماً، و لغيرها يحصل بمجاورته اياها و محاذاته لها، كالحرارة الحاصلة لغير النار بمجاورة النار، و الضوء الحاصل لغير الشمس بمحاذاة الشمس، وكما ان تكرر هذه المجاورات و تكثر الاتصاف بهذه الصفات الجسمانيةيوجب اشتدادها، واشتدادهايستدعى حصول صورة يناسبها فى هذا القابل الجسمانى مثل تلك الصورة، فحينئذ تنقلب صورته الى صورة ماجاوره، كالحديدة الحامية تتصور بصورة النار و تتحد بها، وتفعل فعلها من التسخين و الاضائة و غيرها، فكذلك تكرر احوال النفس يوجب قبول قوتها لصورة جوهرية اخروية هى مبدأ تلك الحال، فتتحد بها و تتصور بصورها المفارقة و تفعل فعلها، سواء كان تلك الصورة من مبادى الشرور كصور الشياطين و احزابها، او من مبادى الخيرات كصور الملائكة و احزابها، و هذا يحتاج الى استغراق فى بحر علم المكاشفات، و المقصود هاهنا ان القلب فى التغير دائماً من هذه

الاسباب، و احضر الاسباب الحاصلة فى النفس هى الخواطر، و انما يراد بالخاطر مايعرض للنفس من باب الادراكات، سواء كان متجدد الحصول او على سبيل التذكر و الاسترجاع، فهذه الافكار و الاذكار يسمى خواطر، من حيث انها يخطر بالبال بعد ان كان القلب غافلا عنها، و هذه الخواطر هى المحركات للارادات و الاشواق، فان النية والارادة لشىء او الشوق عليه انما يكون بعد حصول المنوى بالبال لامحالة، فمبدأ الافعال الخواطر، ثم الخاطر يحرك الرغبة، و الرغبة تحرك العزم و النية، و النية تحرك الاعضاء، اذا عرفت هذا فنقول: الخواطر المحركة للرغبة ينقسم الى ما يدعو الى الشر، اعنى مايضر فى العاقبة، و الى مايدعو الى الخير، اعنى ما ينفع فى الدار الاخرة، فهما خاطران مختلفان، فافتقرا الى اسمين مختلفين، فالخاطر المحمود يسمى الهاماً، والخاطر المذموم يسمى وسواساً.

اصل آخر

ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة، وكل حادث لابد له من سبب، و مهما اختلفت الحوادث، دل على اختلاف الاسباب، لكن الاختلاف ان كان بحسب العوارض والخارجيات، فيحتاج الى اختلاف القوابل والاستعدادات، وان كان الاختلاف بحسب الحقايق و المنوعات، فيفتقر الى اختلاف العلل الفاعليات، ولما كان اختلاف الخواطر بحسب الخيرات و الشرور، و كان الاختلاف بينهما اختلافا حقيقيا ذاتيا، فيكون الاختلاف بين مبدأ الالهام و مبدأ الوسواس ايضاً كذلك، وهذا مما يشاهد من سنة الله تعالى فى ترتيب المسبباب على اسبابها، فمهما استنار حيطان البيت بنور النار، و اظلم سقفه بسواد الدخان، علمت ان سبب الاسوداد غير سبب الاستنارة، كذلك لانوار القلب و ظلماته سببان مختلفان، فسبب الخاطر الداعى الى الخير يسمى ملكا، و سبب الخاطر الداعى الى الشر يسمى شيطانا، و اللطف الذى به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا، و الذى يتهيأ لقبول وسوسة الشيطان يسمى خذلانا، والملك عبارة عن جوهر روحانى نورانى خلقه الله، شأنه افاضة الخير و افادة العلم و كشف الحق و الوعد بالمعروف، وقد سخره الله

لذلك، و الشيطان عبارة عن جوهر روحانی ظلمانی شأنه ضد ذلك، و هو الوعد بالشر و الامر بالمنكر و التخويف عند الهم بالخير بالفقر و نحوه، فاذا سبقت هذه الاصول، فثبت و تحقق ان الوسوسة ضدالالهام، والشيطان مقابل الملك، والتوفيق و هواللطف المهيئى لقبول الالهام فى مقابلة الخذلان، و اليه الاشارة بقوله تعالى: و من كل شىء خلقنا زوجين اثنين[۳]، فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى، لانه لامقابل له، بل هو الواحد الفرد الحق الخالق للازواج كلها.

عقد و حل

ولنفاة الشيطان، و نفاة الوسوسة كاتباع الفلاسفة، المحجوبين عن كشف الملكوت ان يقولوا: اذا ثبت ان المصدر القريب للافاعيل الحيوانية، هو هذه القوى المحركة المركوزه فى العضلات، و ثبت ان القوى لايصير مصدراً للفعل و الترك الاعند انضمام الميل و الارادة، و ثبت ان تلك الارادة من لوازم حصول العلم بكون ذلك الشىء لذيذاً او مكروها، و ثبت ان حصول ذلك الشعور لابد و ان يكون بخلق الله ابتداء كما هو مذهب البعض، او بواسطة مراتب كما هو مذهب بعض الاخر، و الكلام فى كل من تلك المراتب فى استلزام مابعده على الوجه الذى قررناه، فثبت ان ترتب كل من هذه المراتب على ماقبله امر حتم لازم لزوماً ذاتياً واجبا، فانه اذا احس الانسان بالشىء حصلت صورته فى النفس، واذا حصلت صورته و عرف كونه ملائما مال طبعه اليه، و اذا مال اليه، تحركت القوة المحركة القريبة الى الطلب، و اذا حصلت هذه المراتب حصل الفعل لامحالة، سواء حصل الشيطان او لم يحصل، فعلمنا ان القول بوجود الشيطان و بوجود الوسوسة امر باطل، بل الحق ان هذه المراتب فى الطرف النافع سميناها بالالهام، و ن اتفق حصولها فى الطرف الضار سميناه بالوسوسة، هذا تقرير هذا الاشكال، وقد ذكره صاحب التفسير الكبير، واجاب عنه بقوله: كلما ذكرتموه حق وصدق، الا انه لايبعد ان يكون الانسان غافلا عن الشىء فذكره الشيطان،

۳– ذاريات ۴۹

وعند تذكيره يترتب الميل اليه، و يترتب الفعل على حصول ذلك الميل، فالذى من الشيطان الخارجى ليس الا ذلك التذكر، و اليه الاشارة بقوله تعالى حكاية عن ابليس انه قال: وما كان لى عليكم من سلطان الاان دعوتكم فاستجبتم لى[٤].

اقول: لعمرى كان السائل و المجيب كليهما لم يعرفا معنى الشيطان و الملك، ولم يفرقا بين الشيطان الخارجى و الشيطان الداخلى، و كذا بين المعلم الداخلى كالملك و المعلم الخارجى كالمعلم و الناصح، فالحق فى الجواب ان يقال: هذه الاسباب و ان كانت مترتبة، الا انه ليس جميعها موجبة بنفسها، بحيث لايمكن ان يعارض شيئا منها معارض، بل التعارض بين دواعى الخير و دواعى الشر واقع، و التطارد بين جنود الملك و جنود الشيطان قائم فى ذات الانسان، لكونه مزدوج الحقيقة من جوهر نورانى هو روحه، و جوهر ظلمانى هو طبعه، و انما يفعل مايفعله الانسان بالاختيار والارادة، و الارادة منبعثة عن العلم بالداعى، فاذا لم يتحقق له علم، او لايبلغ علمه الى حد الجزم، بل كان شكاً متساوى النسبة الى الطرفين، لم يقدم على الفعل او الترك، بل كان متردداً الى ان يترجح احد الجانبين على الاخر، و للرجحان سبب لامحالة، لانه حادث، فهذا الجانب الراجح ان كان من العقليات وكان خيراً او نافعاً فى الاخرة، كان سببه امراً روحانيا فاعلا للخير، وكل ماهو كذلك فنحن سميناه بالملك، و ذلك لان السبب للامر العقلى لايمكن ان يكون جسماً او عرضاً فى جسم، فلامحالة يكون امرا روحانياً، و ان كان شراً او ضاراً فى الاخرة كان سببه امرا روحانيا فاعلا للشر، وكل ماهو كذلك فهو المسمى بالشيطان، و ان كان الراجح من الحسيات كان سببه امراً حسياً، لان السبب القريب للحوادث الجسمانية لايكون الا امراً ذاوضع، لان التأثر و التأثير فى الجسمانيات انما يكونان بمشاركة الاوضاع، فذلك الامر الحسى ان كان داعيا للفعل يسمى ملذا، و ان كان داعيا للترك يسمى مولما، فاللذة والالم فى الحسيات مثال للخير و الشر فى العقليات، و كذا النفع والضر فيها، لانهما وسيلتان

٤ـ ابراهيم ٢٢

الى الخير والشر، فعلم مما ذكر: ان السبب فى الخير و الشر او النفع و الضر من الاسباب الداخلية لفعل الانسان، والسبب للذة والالم من الاسباب الخارجة لفعله، و اكثر الناس لايعرف من الامور و اسبابها الا ماهو المكشوف عند احدى الحواس الخمس، و لهذا اقتصرت هممهم على هذا العالم و تحصيل اغراضه و لذاته.

والغرض من اثبات الملائكة والشياطين ان يتفطن الناس بما وراء هذا العالم و هذه المحسوسات و اسبابها، ليتوجهوا الى اقتناء العلوم و الخيرات، و الاتصال باسبابها، و يطيعوالله و رسله من الملائكة والنبيين. و يجتنبوا عن اكتساب الجهل و الرذايل و دواعيها، و يعرضوا عن مطاوعة الشيطان و جنوده اجمعين.

عقدوحل

ثم لقائل ان يقول: فالانسان انما اقدم على الطاعة بالهام الملك، و اقدم على المعصية باغواء الشيطان، فان كان عمل ذلك الملك، فعل الخير لملك اخر، و عمل ذلك الشيطان فعل الشر لشيطان اخر، و هكذا الى ان يكون لكل ملك ملكا، و لكل شيطان شيطانا، فلزم تسلسل الملائكة وتسلسل الشياطين لا الى نهاية، فان كان عمل ذلك الشيطان ليس لاجل شيطان اخر، ثبت ان ذلك الشيطان الاول انما اقدم لحصول ذلك الاعتقاد فى قلبه من الله من غير واسطة، وكذا الحكم فى جانب الخير والملك، و عند هذا يظهر ان الكل من عندالله.

فنقول: هذه شبهة قوية، وهى التى حملت الثنوية خذلهم الله على القول بوجود الهين، و حملت القدرية الذين هم مجوس هذه الامة على القول بالقدر الحتمى، و باستقلال العبد فى فعله، و حملت الاشاعرة بانكار الداعى ونفى الحكمة فى فعله تعالى، الا ان ذوى البصائر المستنيرة بنور الله، العارفين بتعليم الاسماء، يسهل عليهم التفصى عن هذا الاشكال، و لولا ان منعهم رسول الله صلى الله عليه وآله عن افشاء سر القدر، لاطلقوا عنان الكلام فى بيانه، ونحن ايضاً مقتفوا اثارهم ومتبعوا انوارهم انشاءالله

ونؤمن بقوله تعالـى: يضل من يشاء و يهدى من يشاء[5]، وبقول رسول الله صلى الله عليه وآله: انى اعوذبك منك، وقوله: اعملوا فكل ميسر لما خلق له

تبصرة نبوية

وللاشارة الى ان قلب الانسان متجاذب بين الشيطان و الملك، قال صلى الله عليه وآله: فى القلب لمتان، لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمة من العدو ايعاد بالشر و تكذيب بالحق ونهى عن الخير، فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله، ومن وجد الاخرى فليتعوذبالله من الشيطان الرجيم، ثم قرء صلى الله عليه وآله: الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء[6]، وقال الحسن: انما هما همان يجولان فى القلب، هم من الله و هم من العدو، فرحم الله عبداً وقف عند همه، فما كان لله امضاه، وما كان من عدوه جاهده، و لتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن، والله سبحانه يتعالى ان يكون له جارحة، ولكن الروح الاصبع و حقيقة معناه عبارة عن سرعة التقليب، و القدرة على التحريك و التغيير، فانك لاتريد الاصبع لشخصه، بل لفعله فى تقليب الامور و ترديدها، وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك، فالله تعالى انما يفعل مايفعله باستسخار الملك والشيطان، وهما مسخران لقدرته فى تقليب القلوب، والنفس الانسانية فى اصل الفطرة صالحة لقبول اثار الملائكة و لقبول اثار الشيطان صلاحا متساويا، و ليس يترجح احدهما على الاخر، وانما يترجح احد الجانبين على الاخر باتباع الهوى، والاكباب على الشهوات، والاعراض عنها و مخالفتها، فان اتبع هوى النفس باتيان الشهوة والغضب، ظهر تسلط الشيطان عليه بواسطة الهوى، و صار قلبه عش الشيطان و معدنه، لان الهوى مرعاه و مرتعه، وان جاهد الهوى بقمع الشهوة و الغضب ولم يسلطها على نفسه، و تشبه باخلاقه اخلاق الملائكة، صار قلبه مستقر الملائكة و مهبطهم، ولما لم يخل انسان بشرى عن الصفات الحيوانية المتشعبة عن الهوى، المنبعثة عن الاغواء،

۵ـ نحل ۹۳ ۶ـ بقره ۲۶۸

لاجرم لم‌يخل قلب من ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وآله: مامنكم من احد الا وله شيطان، قالوا: وانت يا رسول الله؟ قال: و انا، الا ان الله اعاننى عليه فاسلم على يدى، ولايأمر الا بالخير، وانما كان هذا، لان الشيطان لايتصرف فى القلب الا بواسطة الشهوة، فمن اعانه الله على شهوته حتى يقهرها، فالشيطان المتدرع بها لايأمر الا بالخير، و مهما انفعلت النفس عن القوى السافلة، و انقهرت عن الشهوة و مقتضيات الهوى، وجد الشيطان مجالا فوسوس لها فجورها، و مهما انصرفت الى ذكر الله و صرفت فكرها الى تحصيل معرفته و ابتغاء مرضاته، ارتحل الشيطان و ضاق مجاله، فاقبل الملك و الهمها تقويها، و التطارد بين جندى الملائكة و الشيطان فى معركة القلب قائم الى ان ينفتح لاحدهما، فيستمكن و يستوطن، و يكون اجتياز الثانى اختلاساً، و اكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين و ملكوها، فامتلات بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة و اطراح الاخرة، ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالى اخباراً عن ابليس: لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم و من خلفهم وعن ايمانهم و عن شمائلهم[٧]، فاذن الخواطر الشيطانية معلوم الوقوع و ان كانت بعضها مشتبها بالخواطر الملكية، فوجود الوساوس معلوم، كما ان وجود الالهام معلوم، و كل خاطر فله سبب و يفتقر الى اسم كما مر، فاسم سبب الوساوس هو الشيطان، كما ان اسم سبب الالهام هو الملك، فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام، و الملك و الشيطان، والتوفيق و الخذلان، والله ولى الفضل و الاحسان، المجاوز عن الذنوب و العصيان.

المشهد الثالث

فى الفرق بين الخواطر الملكية والشيطانية

اعلم ان معرفة الخواطر و الفرق بينهما من اهم المهمات، وقد ذكروا وجوهاً كثيرة فى الفرق بين خاطر الملك و خاطر الشيطان، لايمكن

٧- اعراف ١٦

التعويل عليها الا لمن استبصر بمكائد النفس و الهوى، و دقايق العلم و التقوى، و مثله لايحتاج فى معرفة الفرق بين الخواطر الى تلك الوجوه، منها ماقيل: ان الخاطر الذى يدعو الى الطاعة و العبادة فهو ملكى، و ما يدعو الى الذنب و المعصية فهو شيطانى، و هذا غيرمعتمد عليه، اذ رب هم بعبادة يكون اسوء و افسد من الهم بمعصية، لمافيه من مكائد خفية للنفس، وقد تلم بنشاط فى العبادة، و العبد يظن انه بنهوض القلب لها، و ربما كان لنفاق خفى منه و رعونة كامنة فى ذاته، لاستشعاره بها المنزلة والجاه عند الخلق، واقوم الناس بتمييز الخواطر اقومهم بمعرفة النفس، و معرفتها صعب المنال، لايكاد يتيسر الابعد استقصاء تام فى العلوم الحقة مع التقوى، واتفق المشايخ على ان من كان اكله من الحرام لايفرق بين الوسوسة والالهام، وقد فرقوا بين هواجس النفس و وساوس الشيطان، و قالوا: ان النفس تطالب و تلح، فلاتزال كذلك حتى تصل الى مرادها، والشيطان اذا دعى الى زلة او معصية فلم يجب يوسوس باخرى، اذ لاغرض له فى تخصيص شىء، بل غرضه الاغواء كيف يمكن، و هذا الفرق و ان كان ثابتاً، الا انه ليس فى تحقيقه كثير فائدة، لان الاجتناب عن كل واحدة منهما واجبة، نعم هذه المعرفة تفيد فى كيفية قطع اسباب كل منهما، فان الهواجس النفس تقطع بترك اللذات سيما الجوع، و وساوس الشيطان تحسم موادها بالمعارف الحقيقية، و كذا يفرق بين الخاطر الملكى و الخاطر الرحمانى، ولهذا قال بعض الاكابر: بنور التوحيد يقبل الخواطر من الله تعالى، و بنور المعرفة تقبل من الملك، و بنور الايمان تنهى النفس، و بنور الاسلام تنهى العدو، والاولى فى الاخيرين ان يقال بالعكس، فان بنور العمل باحكام الاسلام من الصوم و الزكوة و الجهاد و غيرها يضعف شهوات النفس وهواجسها، و بنور المعرفة الحقة باستعمال البراهين تحسم مادة شبهات الشيطان، فمادة شبهات الشيطان كمادة شهوات النفس، فالاولى ينقطع بالبرهان، و الثانى ينقطع بالجوع، لان بالشبع واكل اللذيذات يتحرك الشهوة، والمشتهيات امور متناهية فى معرض الاشتراك، فاذا اختصت بالبعض زالت عن البعض، فينبعث التنازع والخصومات، و من

الشهوة يتحرك الغضب، و بعد رسوخ الشهوة والغضب ينبعث الحيل الخواطر النفسانية ثم الشيطانية ، و لذلك ذكر بعض العلماء ان لمة الملك ولمة الشيطان وجدا الحركة النفس الحيوانية والروح ، فالنفس اذا تحركت انقدح من جوهرها ظلمة تنكت فى القلب همة سوء ، فينظر الشيطان اليه ، فيقبل بالاغواء والوسوسة، وان الروح اذا تحرك انقدح من جوهرها نور ساطع، يظهر من ذلك النور فى القلب همة عالية ، فينظر الملك اليه و يفيض عليه الهداية والالهام، و يرد عليه ان اللمتين تتقدمان على حركة النفس والروح ، فحركة الروح من لمة الملك ، والهمة العالية من حركة الروح ، و حركة النفس من لمة الشيطان ، و من حركتها الهمة الدنية ، فحركة الروح من بركة لمة الملك ، و حركة النفس من شؤم لمة الشيطان ، فاذا اوردت اللمتان ظهرت الحركات، و ظهر سر العطاء و الابتداء من معطى كريم و مبلى حكيم .

و اعلم : ان من قصر نظره عن درك حقايق الزهد ، و تطلع الى تمييز الخواطر ، يزنها اولا بميزان الشرع ، فان كان مطابقا له يمضيه ، و ان كان مخالفا ينفيه ، و ان استوى الخاطران ينفذ اقربهما الى مخالفة هوى النفس، اذ الغالب فى هواها الاعوجاج و الركون الى الدون ، و كثيرا ما يشتبه خواطر النفس بخواطر الحق على من يكون ضعيف العلم ، فلا يدرك نفاق القلب و ما يتولد منه من الخواطر ، الا العلماء الراسخون ، و اكثر ما يدخل الافات على ارباب القلوب من هذه الجهة ، و ذلك لقلة العلم بالنفس والقلب ، و بقاء نصيب من الهوى فيهم . فينبغى ان يعلم العبد انه مهما بقى عليه اثر من الهوى و ان دق و قل ، يبقى عليه بحسبه بقية اشتباه الخواطر . و قال بعضهم : و من الخواطر ما هى رسل الله الى العبد . و قال لى قلب : ان عصيته عصيت الله عزوجل . و هذا حال عبد استقام قلبه و سكنت نفسه واطمأنت ؛ و فى سكونها و اطمينانها يستعد القلب لذكر الله بالبرهان و عند ذكر الله يطرد الوهم والشيطان .

وقد ورد فى الخبر: ان الشيطان جاثم[8] على قلب ابن آدم . فاذا ذكر الله تولى و خنس؛ و اذا غفل التقم قلبه فحدثه و مناه . وقد قال الله تعالى:

٨ـ اى لاصق

و من يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين[٩]؛ و قال ايضاً : ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا[١٠]. فبالتقوى يتحقق خالص الذكر و بها تنفتح بابه ؛ و اعظم التقوى اتقاء حديث النفس.

قال سهل بن عبدالله التسترى : ان اسوء المعاصى حديث النفس ويرى الاضعاء اليه ذنبا فيتقيه فاذا صار كذلك بعد الشيطان مطروداً عن سماء القلب. لانها كالسماء مزينة بزينة كواكب الاذكار والعلوم الحقة اليقينية وانوار المعارف الالهية. فاذا صار قلب العبد السالك سماويا و بعد عنه الشيطان و زال حديث النفس والخواطر الشيطانية عن قلبه، يرقى و يعرج بباطنه و معناه الى باطن طبقات السماء؛ وكلما يرقى ينحط عنه شوائب النفس و يبعد عنه اثار وساوس الشيطان ؛ حتى يصير خالصاً محضاً حتى عن وجود نفسه ؛ فينقطع عنه عند ذلك خواطر الملك ايضاً ولماته. لان الخاطر الحق رسول والرسالة الى من بعد ؛ و هذا العبد قريب. فخاطر الملك يخلف عنه كتخلف جبرئيل عليه السلام فى ليلة المعراج عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال : لودنوت انملة لاحترقت. قال الحكيم محمد بن على الترمذى : المحدث والمكلم اذا تحققا فى درجتهما لم يخافا من حديث النفس؛ وكما ان النبوة محفوظة من القاء الشيطان، كذلك محل المكالمة والمحادثة محفوظ من القاء النفس وفتنتها و محروسة بالسكينة لان السكينة، حجاب المكلم والمحدث مع نفسه ؛ و هذا التكليم والتحديث هو العلم المعروف باللدنى الذى مر ذكره ؛ والعالم به هو الحكيم بالحقيقة فان.

المشهد الرابع

فى ان لالهام الملك و وسوسة الشيطان فى النفوس الانسانية علامات يقع على وجوه:

احدها كالعلم واليقين الحاصلين فى جانب يمين النفس اعنى القوة العاقلة فى مقابلة الهوى والشهوة الحاصلين فى جانب شمالها اعنى القوة الواهمه. فالاولان من الهامات الملك ؛ والاخيران من وساوس الشيطان.

٩ـ زخرف ٣٦ ١٠ـ اعراف ٢٠١

الثانى : ان صورة العالم الانسانى لما كانت مطابقة لصورة هذا العالم فكأنها يحتمل وجود الملائكة والهاماتها والشياطين و وساوسها ؛ فهى بمنزلة عقبة بين موطن الملائكة و معدن الشياطين ؛ فانك مهما نظرت فى آيات الافاق والانفس على سبيل الاشتباه والمغالطة كما للمجادلين او الغفلة والاعراض كما للعوام والمقلدين نشأت لك منها الشبه والوساوس فى الواهمة والمتخيلة ؛ فصارت نفسك الوهمية والخيالية ، وهى فى الجانب الايسر من القلب المعنوى معدنا للشياطين و جنودها و لهذا وقع الذم فى القران والحديث للمعرضين عن الحكمة فى آيات الافاق والانفس كما قال: وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون[١١]. و قال رسول الله صلى الله عليه و آله : و يل لمن تلى هذه الاية ثم مسح بها سبلته اى لم يتدبر فيها ، و هى قوله : ان فى خلق السموات والارض[١٢] ، الاية . و برواية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها . و برواية ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها . و اذا نظرت الى تلك الايات على سبيل الاعتبار والاستبصار وزالت عنك الشكوك والاوهام و حصلت لك المعرفة والحكمة ، فصارت قوتك العقلية وهى فى جانب الايمن من البقعة المباركة ؛ اعنى القلب موطن الملائكة و منبع الالهامات و مبادى العلوم اليقينيات لعالم السماء . فالايات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدسة والعقول المجردة ؛ والمتشابهات الوهميات والاغاليط بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية ومبادى المقدمات السفسطية .

الثالث : ان متابعة اهل الجحود والانكار و اهل التعطيل والتشبيه والكفار فى مقابلة طاعة الرسول والائمة و الاخيار . فكل من سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين و من سلك سبيل الهداية ، فهو من جملة اهل الله كالانبياء والاولياء الذين درجتهم درجة الملائكة المقربين . فمن اتبع الهوى فقد تابع الشيطان اللعين وصار من حزب الشياطين ؛ و من اتبع الهدى فقد تابع الملك ؛ فهو من حزب الله و حزب المقربين .

الرابع: ان الملائكة الروحانية التى هى سكان عالم الملكوت السماوى

١١ــ يوسف ١٠٥ ١٢ــ بقره ١٦٤

فى مقابلة الابالسة المطرودة عن باب الله المحجوبة عن جناب القدس الممنوعة عن ولوج السموات المحبوسة فى الظلمات ، فمن كانت علومه و ادراكاته فى الموضوعات العالية والاعيان ، كالايمان بالله و رسله و ملائكته العقلية و كتبه السماوية واليوم الاخر ، فقد شابه الملائكة و جنود الرحمن ؛ و من كانت علومه وادراكاته من باب الحيل والخديعة والسفسطة و التأمل فى الموضوعات الدنياوية ولم يخرج فهمه من دار المحسوسات ، فقد شابه الشياطين المحبوسة فى طبقات الجحيم واسفل السافلين المحرومة عن الارتقاء الى دار النعيم و ملكوت السماء و عالم العليين ، فهو محشور معهم معدود فى زمرتهم .

كشف نورى

قد انكشف ان اصل الضلال والعمى والجهل سيما المشفوع بالرسوخ من الشيطان واصل الهدى والبصيرة والعلم سيما المقرون بالبرهان من الملك و اسم ابليس كاسم شجرة خبيثة ؛ والشياطين على تفاوتهم فى الخبث بمنزلة اغصان هذه الشجرة الملعونة ؛ وافنانها و اوراقها و ثمارها هى الافكار الجزئية المتعلقة بلذات هذا العالم ، كما اشير اليه فى قوله : انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين ؛ فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون[١٣] و اسم الملك والعقل كاسم شجرة طيبة اصلها ثابت و فرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها[١٤] ، كما اشير اليه فى القرآن ، وثمارها الحاصلة منها هى العلوم الكلية والمعارف الالهية ؛ و هى ايضاً شجرة طوبى التى غرسها يد الرحمان و هى ايضاً شجرة مباركة لاشرقية ولاغربية لتجردها عن شرق هذا العالم و غربه ، لعدم اختصاصها بمكان او زمان ؛ فلا يوجد فى وقت دون وقت .

ومما يؤكد ماذكرناه وينور ماقررناه مارواه محمد بن يعقوب الكلينى طاب ثراه بسنده المتصل الى سماعة بن مهران قال : كنت عند ابى عبدالله عليه السلام و عنده جماعة من مواليه ؛ فجرى ذكر العقل والجهل فقال

١٣ــ صافات ٦٤ ١٤ــ ابراهيم ٢٤

ابوعبدالله : اعرفوا العقل و جنده والجهل و جنده تهتدوا . قال سماعة : فقلت جعلت فداك لانعرف الا ما عرفتنا . فقال ابوعبدالله : ان الله خلق العقل وهو اول ما خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره ؛ فقال له ادبر فادبر ؛ ثم قال له اقبل فاقبل ؛ فقال الله تبارك و تعالى خلقتك خلقا عظيما و كرمتك على جميع خلقى. قال : ثم خلق الجهل من البحر الاجاج ظلمانيا . فقال له ادبر فادبر ؛ ثم قال له اقبل فلم يقبل ؛ فقال استكبرت فلعنه . ثم جعل للعقل خمسة و سبعين جندا . فلما رأى الجهل ما اكرم الله به العقل و ما اعطاه ، اضمر له العداوة . فقال الجهل : يارب هذا خلق مثلى ؛ خلقته و كرمته و قويته ؛ و انا ضده ولاقوة لى به ؛ فاعطنى من الجند مثل ما اعطيته ، فقال نعم فان عصيت بعد ذلك اخرجتك و جندك من رحمتى ؛ فقال قد رضيت ؛ فاعطاه خمسة و سبعين جنداً فى كلام طويل يعد جنود العقل و جنود الجهل التى فى مقابلتها.

المشهد الخامس

فى بيان الحكمة فى خلق الشياطين

اعلم ان لله فى كل مخلوق حكمة و مصلحة ؛ والا لم يوجد ؛ لاستحالة العبث والقبح فى فعله والاهمال والتعطيل فى ايجاده ؛ وان الانسان كما ينتفع من الهام الملك كذلك ينتفع بوجه من وسوسة الشيطان . اولاترى ان تبعة الوهم والخيال واهل الضلال هم اصحاب الشياطين ؛ ثم لو لم يكن اوهام المعطلين و خيالات المتفلسفين والدهريين و ساير اولياء الطاغوت ومراتب جربزتهم و فنون اعوجاجاتهم لما انبعث اولياء الله و اهل الحكمة والعرفان فى تحقيق الحقايق و تعليم العلوم و طلب البراهين لبيان التوحيد و علة الحدوث للعالم على سبيل اليقين ؛ و كذا فى امثال هذه المسائل وكذا القياس فى تهذيب الاخلاق و استقامة الاحوال و صحة الاعمال ، لو لم يكن اغتياب المغتابين و تجسس المتجسسين لعيوب الناس ، لم يجتنب الانسان كل الاجتناب من العيوب الخفية التى لايراها احباؤه ؛ و انما يظهر له ثبوتها من تدقيقات الاعداء و تجسسهم عيوبه و

اظهارهم اياها له. فكم من عدو خبيث الذات ينتفع الانسان من عداوته اكثر مما ينتفع به من محبة الاصدقاء. فان المحبة مما يورث الجهل بعيوب الحبيب والعمى عن معاينة معايبه و سماع مثالبه، كما قيل:

و عين الرضا كل عيب كليلة   و عين العداوة[١٥] قدتبدى المساويا

فظهر ان لوجود الاعمال الشيطانية فى العالم منافع عظيمة، و من فوايد الالام والمحن والشدائد التى تصل الى العبد من اهل الظلم والجور، انه يوجب له سرعة الرجوع الى بارئه واللحوق الى اوليائه الماضين و ترك الاخلاد الى الارض والاجتناب عن معاشرة اهل الدنيا؛ لما يرى من ابناء الزمان مايزعجه عن الخلق و يمله عن الدنيا، و ينفر طبعه عنهم و يفر الى الله الواحد فراراً عن الدنيا و مافيها و تقرباً اليه تعالى و ملكوته الاسنى.

المشهد السادس

فى الاشارة الى مبدء وجود الملك والشيطان

اعلم ان لله صفتى لطف و قهر و رحمة و غضب؛ و من الواجب ان يكون الملك و خصوصا ملك الملوك كذلك؛ اذ كل منهما من اوصاف الكمال، كيف والفردانية فى الالهية والتوحد فى غاية العظمة؛ كما اوجب افاضة الوجود والرحمة على من سواه، فكذلك اوجب ان ليس كمثله شىء ولا لاحد فى حريم كبريائه و عظمته طريق. فلابد لكل من الوصفين من مظهر. فالملائكة و من ضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف والرحمة؛ والشياطين و من والاهم من الاشرار مظاهر القهر والغضب؛ و مظاهر اللطف هم اهل الجنة واهل القرب والاعمال المستعقبة لها؛ و مظاهر القهر هم اهل النار و اهل البعد والاعمال المثمرة اياها. ثم لا اعتراض عليه فى تخصيص كل من الفريقين بما خصصوا به، فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله، وهاهنا يظهر حقيقة السعادة والشقاوة. فمنهم شقى و سعيد. فاما الذين شقوا ففى النار[١٦]؛ الاية. و اذا تؤمل فيما ذكرنا ظهر ان لاوجه بعد ذلك لاسناد اسباب الظلم والقبايح اليه تعالى؛ لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم الوجود

١٥ــ السحت نم   ١٦ــ هود ١٠٥ و ١٠٦

والايجاد ، وسيجيء لك ان الله لا يولى احداً من الفريقين الاماولاه ، و ان كل حزب بما لديهم فرحون[۱۷].

فان قلت : فما فائدة بعثة الرسل وانزال الكتب ؟

قلنا : لما تبين انه تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد فكيف يبقى للمعترض ان يقول : لم جعل الله الشيء الفلانى سبباً و واسطة لحصول الشيء الفلانى ، كما انه ليس له ان يقول مثلا : لم جعل الشمس سبباً لانارة وجه الارض ، غاية ما فى الباب ان يقول : اذا علم الله ان الكافر لايؤمن ، فلم امره بالايمان و بعث اليه النبى ؟

فنقول : فائدة البعث والرسالة والانزال يرجع بالحقيقة الى المؤمنين ، حيث جعل الله انوار الكتب والرسل سبباً لانارة قلوبهم و واسطة لاهتدائهم فى ظلمات هذه الدار الى دار النعيم ؛ انما انت منذر من يخشيها[۱۸] ؛ كما ان فائدة نور الشمس يعود الى اصحاب العيون الصحيحة ؛ و اما فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم ، فكفايدة نور الشمس الى الاكمه تزيدهم حيرة و ضلالة ؛ و اما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم و ماتوا وهم كافرون[۱۹] . غاية ذلك الزام الحجة و اقامة البينة عليهم ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[۲۰] ؛ ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا[۲۱] . و هو بالحقيقة النعى عليهم ؛ بانهم فى اصل الخلقة اشقياء مطرودون عن باب الله طرد الخفافيش والظلمات عن حضرة النور ، سواء عليهم ء انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون[۲۲] . فالانذار و التخويف لاينجح معهم لان نفعه مختص بالمؤمنين و ان كان نور الهداية والرحمة نازلة على العالمين . و ما ارسلناك الا رحمة للعالمين[۲۳] . الا ان نصيب النفوس الكدرة والاوهام العسوفة منه ، ليس الا الوحشة والعمى و الظلمة والضلال والخسران والوبال ، و عليه جرى القلم و نفذ حكم القضاء

۱۷ـ مؤمنون ۵۳
۱۸ـ نازعات ٤۵
۱۹ـ توبه ۱۲۵
۲۰ـ نساء ۱٦۵
۲۱ـ طه ۱۳٤
۲۲ـ بقره ٦
۲۳ـ انبیاء ۱۰۷

الحتم والقدر المبرم ، لقوله : و لذلك خلقهم[۲۴] و تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته[۲۵] ، و قوله : ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها ولكن حق القول منى لاملئن جهنم من‌الجنة والناس اجمعين[۲۶] .

مكاشفة عرفانية

قد انكشف و تحقق للعارف المحقق والبصير المحدق انه اذا تجلى شمس عظمة‌القدس و وقعت انوار جماله واشعة جلاله على صفايح هياكل الهويات وصحايف قلوب‌الانيات؛ فكما ينشأ منه منبع‌النور‌النبوى‌المحمدى وضوء السراج الاحمدى و مادة الحيوة الابدية واكسير السعادة السرمدية ، فكذلك ينشأ منه كبريت‌النار الابليسية و ينقدح منه شرارة الادخنة الظلمانية .

و فى‌الحديث عن رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله : بعثت داعياً و ليس الى من‌الهداية شىء و خلق ابليس مضلا و ليس اليه من‌الضلالة شىء ؛ من يهدى‌الله فلا مضل‌له و من يضلل فلا هادى‌له .

فاعلم يا مسكين : ان خيرات الدنيا ملزومة للشرور و مسراتها مقرونة بالهموم وحلاواتها ممزوجة بالسموم ؛ و بهذا جرت سنة‌الله ولن تجد لسنة‌الله تبديلا[۲۷] . فلكل نور ظلمة و فى كل نعمة نقمة ولكل جمال جلال ؛ كالهيمان الحاصل من‌الجمال الالهى ؛ و تحير‌العقول من ادراكه و انقهارها ولكل جلال ايضاً جمال ؛ وهو‌اللطف المستور فى‌القهر الالهى . قال الحكماء : كل ممكن زوج تركيبى ، لما رأوا انه مزدوج الذات من صفتى القهر والمحبة . هو‌الله الرحمن الرحيم البارىء المصور النافع الهادى . هذا‌القوم و هو‌الله القهار الجبار المنتقم العزيز المتكبر الضار المضل، هذا‌القوم آخرين .

قال بعض اهل‌الله بلغة الفرس : اى عزيز هر كارى كه باغيرى منسوب يابى بجز از خدا آن را مجاز مى‌دان نه حقيقت ، زيرا كه فاعل حقيقى بجز

۲۴ـ هود ۱۱۸
۲۵ـ انعام ۱۱۵
۲۶ـ سجده ۱۳
۲۷ـ احزاب ۶۲

او نبود؛ آنجا كه گويد: قل يتوفيكم ملك الموت[٢٨]، اين را مجاز مى‌دان؛ حقيقتش آن باشد كه: الله يتوفى الانفس حين موتها[٢٩]؛ راه نمودن محمد صلى‌الله عليه و آله مجاز مى‌دان، حقيقتش انك لاتهدى من احببت ولكن‌الله يهدى من يشاء[٣٠]؛ گمراه كردن ابليس را مجاز مى‌دان؛ يضل من يشاء ويهدى من يشاء[٣١] حقيقت مى‌شناس؛ گيرم كه خلق را اضلال ابليس كرد، ابليس را به صفت اضلال كه آفريد؟ مگر موسى از اين معنى گفت كه: ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء و تهدى من تشاء[٣٢].

فكما ان‌الملك والالهام والنبى والقران رسل‌الله الى عباده، فالهوى والنفس والوسوسة رسل‌الشيطان الى عبدة الطاغوت؛ و ان شئت قلت هى والشياطين ايضا رسله الى ابناء الظلمات وسكان الهاوية؛ و اقرأ قوله تعالى: الله ولى الذين امنوا يخرجهم من‌الظلمات الى‌النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من‌النور الى‌الظلمات اولئك اصحاب‌النارهم فيها خالدون[٣٣]، واتل قوله: فالهمها فجورها و تقويها[٣٤]، وقوله: الشيطان‌يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء؛ والله يعدكم مغفرة منه و فضلا والله واسع عليم[٣٥]. فالمؤمن الحقيقى من يقبل دعوة الحق و وعدالله و يرد دعوة الباطل و وعد الشيطان و مكره و حبائله و شركه و غروره و امانيه، يعدهم و يمينهم و ما يعدهم‌الشيطان الا غروراً اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً[٣٦]. فمن صدق رسل‌الله و كتبه و كان ذا فطرة صحيحة نورانية يتقى‌الله و ينتهى عن تناول سموم الدنيا القاتلة والاشتغال بشهواتها المهلكة؛ و من اذعن دعوةالشيطان واتبع هواه و نسى ذكر مولاه، و ذهل عن احوال عاقبته واخراه، اشتغل بالدنيا و لذاتها وافتتن بشهواتها المزخرفة واغتر بامانيها الفانية و تصامم عما يقول‌له المبلغ: رب شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا؛

٢٨ـ سجده ١١
٢٩ـ زمر ٤٢
٣٠ـ قصص ٥٦
٣١ـ نحل ٩٣
٣٢ـ اعراف ١٥٥
٣٣ـ بقره ٢٥٧
٣٤ـ شمس ٨
٣٥ـ بقره ٢٦٨
٣٦ـ نساء ١٢٠ و ١٢١

ويقول له الرسول صلى الله عليه و آله : الدنيا حية فاقتلوها، و يبين له الكتاب: اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة و تفاخر بينكم و تكاثر فى الاموال والاولاد[٣٧]. قال ابن عطا : ان الله يعامل العباد فى الابد على نحو ما عاملهم فى الازل . و قال اخر : ليس الخوف من سوء العاقبة ؛ انما الخوف من سوء السابقة .

اعلم ان هاهنا سر الاخرة والدنيا مرآة الاخرة والقالب محك القلب. فنصيب اولياء الله فى الدنيا بحسب الشدائد والنقمات يشبه نصيب اعدائه و اولياء الشيطان فى الاخرة ؛ كما بالعكس فى باب الراحات واللذات ، الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر فكل ما كان من وظيفة المسجون ، فمما يلحق لهؤلاء فى الدنيا و لهؤلاء فى العقبى . فلكل من الطائفتين نصيب من النعمة و نصيب من النقمة ولكل منهما سهم من السعادة و سهم من الشقاوة ؛ و فى الحديث : خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالى ؛ و خلقت هؤلاء للنار ولاابالى؛ و ذكر بعض اهل التذكير: ان الشيطان حين اراد وسوسة آدم و حوا و قاسمهما انى لكما لمن الناصحين[٣٨] وضع نحو مرآة بين الجنة والنار؛ ظاهره الى الجنة و باطنه الى النار . فوقع فيه عكس ما فى الجنة بهيأت واشكال يوازى ما فى الجنان من الحور والقصور والانهار والشراب والعسل والزنجبيل والسلسبيل ، جميع ذلك على هيئات وصفات تحاذى ما فى تلك الصفة النقية ، لافرق بينهما الا بان هذه فانية كصنم بلا روح ؛ و تلك باقيه ؛ و هذه موهومة متخيلة كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ؛ حتى اذا جائه لم يجده شيئا[٣٩] فيزيده العطش والاضطراب والفاقة والافتقار والمرض والغم والافة والعذاب ؛ بخلاف ما فى الجنة العالية فانها صور حقيقية فيها ماء حيوة جارية ، توجب الرى و الغنى والصحة والسرور والبهجة ؛ فبعض النفوس من غلبت عليه جهة الرحمة الالهية . افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه[٤٠] و بعضها ممن غلبت عليه جهة الظلمة الشيطانية . فويل

٣٧ـ حديد ٢٠
٣٨ـ اعراف ٢١
٣٩ـ نور ٣٩
٤٠ـ زمر ٢٢

للقاسية قلوبهم من ذكر الله[٤١]، قال تعالى: من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه و من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها؛ و ماله فى الاخرة من نصيب[٤٢]. وللاشارة الى هاتين الطائفتين قال: كما بدأكم تعودون فريقا هدى و فريقا حق عليهم الضلالة؛ انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله و يحسبون انهم مهتدون[٤٣]؛ و للاشارة الى هذين الجنديـن قال: اولئك حزب الله[٤٤] فان حزب الله هم الغالبون[٤٥]؛ و قوله: اولئك حزب الشيطان[٤٦]؛ وانما صارت الغلبة لحزب الله؛ لان الخير غالب مقضى بالذات والشر مغلوب بالعرض، كما قال: سبقت رحمتى غضبى.

ثم اعلم: ان كلا من الطائفتين مشعوف بما هو عليه، فرحان بما يجرى على يديه؛ كما قال تعالى: كل حزب بما لديهم فرحون[٤٧]؛ و قوله: هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً[٤٨]؛ فكما ان العارف المحق فرحان بالحق مشعوف بما عنده من الايات المحكمة والبراهين النيرة المكشوفة، فكذا الجاهل المبطل فرحان بالشهوة والباطل، مشعوف بما عنده من الوساوس الباطلة والوهميات الكاذبة، مغرور بالامانى الشيطانية والعادات العامية. فانظر كيف حكى الله كيفية مناظرة وقعت بين ولى محق من اولياء الله و عدو مبطل من اولياء الشيطان فى قوله: الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان اتيه الله الملك، اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى و يميت؛ قال انا احيى و اميت[٤٩]. فانظر كيف اشتبه عليه الامر واغتر و شبه الاحياء والاماتة المجازيتين بالاحياء و الاماتة الحقيقيتين. فاكتفى السفيه المغرور بلامع سراب المجاز عن شرب ماء الحقيقة التى تحيى الاموات؛ و ادعى المعاند الملعون نسبة الاحياء و الاماتة الى نفسه مع عجزه عن مدافعة الذباب والبراغيث عن نفسه. فاسباب

٤١ـ زمر ٢١ ٤٢ـ شورى ٢٠
٤٣ـ اعراف ٣٠ ٤٤ـ مجادله ٢٢
٤٥ـ مائده ٥٦ ٤٦ـ مجادله ١٩
٤٧ـ مؤمنون ٥٣ ٤٨ـ كهف ١٠٤
٤٩ـ بقره ٢٥٨

اغترار الشيطان و جنوده اكثرها من هذا القليل عندالخبير المستبصر فانها يرجع الى اقيسة فقهية بلا حقيقة جامعة .

وقد قيل : اول من قاس ابليس فى مقابلة النص . و ذلك لان كل ما وجدت فى عالم الملكوت يوجد مثاله فى عالم الدنيا ، و كل ما يوجد فى قلب من تولاه‌الله و افاض عليه برحمته من العلوم والالهامات ولطايف الصنع ، يوجد اشباهه و اظلاله الباطلة الفانية فى قلب من استولت عليه الجهة الظلمانية وتولاه الشيطان من الوساوس والرعونات والامانى و غيرها من الافتخار والعجب والغرور .

المشهد السابع

فى ان اى حقيقة الهية اوجبت وجود ابليس و جنوده اجمعين، و اى اسم الهى انشأه وابداه و مكنه و رباه و قواه

اعلم : انه ما من شىء فى العالم الا واصله من حقيقة الهية و سره من اسم الهى ؛ و هذا لايعرفه الا الكاملون . قال تعالى : ما من دابة الاهو اخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم[۵۰] . فكل ماش فهو على صراط مستقيم. لان الشىء لايتحرك بنفسه ؛ و انما يحركه غيره . فما من دابة يدب بنفسه وانما يدب بغيره ؛ ولاستحالة تسلسل المحركات لابد و ان ينتهى الى محرك غير متحرك ؛ و هوالبارى جل ذكره لان غيره لا يخلو عن حركة و طلب ؛ وكل دابة يدب و يتحرك بالحق تعالى فهو يؤل على صراطه الى الرحمة الواسعة التى وسعت كل شىء . فمآل الكل اليه تعالى ،كما ان بدؤه منه . فالرحمة ذاتية والغضب من العوارض ؛ ولهذا قيل : الطرق الى‌الله بعدد انفاس الخلايق ، و قال تعالى : فاينما تولوا فثم وجه‌الله[۵۱] . الا ان طريق التوحيد الذى هو مسلك الانبياء والاولياء عليهم‌السلام واحد . و منها يتفرق سائرالطرق و يتشعب ؛ الاترى ان رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله لما اراد ان يتبين ذلك ، خط خطاً مستقيماً ، ثم خط من جانبها خطوطاً خارجة

۵۰ـ هود ۵۶ ۵۱ـ بقره ۱۱۵

من ذلك الخط ؛ و جعل الاصل الصراط المستقيم الجامع ؛ و جعل الخطوط الخارجة منها سبل الشيطان ؛ كما قال : ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله[٥٢] ؛ والى طريق التوحيد اشار بقوله : قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا و من اتبعنى[٥٣]، و هوالجامع لطرق الاسماء كلها .

سمع ابويزيد البسطامى هذه الاية : يوم يحشر المتقين الى الرحمن وفداً[٥٤] فشهق شهقة فقال : من يكون عنده كيف يحشر ؟ وجاء اخر فقال: من اسم الجبار الى اسم الرحمن و من القهار الى الرحيم و من المنتقم الى الغفور . قال الحلاج : ما صحت الفتوة الا لاحمد و ابليس ؛ كأنه قال : هذان المظهران كل منهما كامل فى بابه ، متفرد فى شأنه ، احدهما مظهر اسماء المحبة والاخر مظهر اسماء القهر ؛ و من فتح عينيه وشاهد ياء المتكلم فى قوله تعالى : و نفخت فيه من روحى[٥٥] باحدى العينين ثم نظر الى ياءالمتكلم فى قوله تعالى : و ان عليك لعنتى الى يوم الدين[٥٦] ، بالعين الاخرى ، ليعرف ان هاتين النسبتين تتحدان فى شىء واحد؛ و هو مجمع الموجودات ومرجع الكل ؛ والجميع مظاهر اسمائه و مجالى صفاته ؛ و حينئذ يعلم سر قوله : فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين[٥٧] و قوله : فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم[٥٨] ؛ فمن امره ظاهراً بسجدة ادم فى قوله : اسجدوا لادم[٥٩] ، كان نهاه فى السرعن سجدة غيره ، فالهمه والقنه الحجة بقوله : ء اسجد لمن خلقت طينا[٦٠] فافهم يا حبيبى هذه الكلمات ، و قد انتهت الى ما يتبلد الاذهان عن دركها؛ ويتحرك سلسلة الحمقى والمجانين عن سماعها و يشمأز قلوبهم عن روايحها ؛ كاشمأزاز المزكوم عن رايحة الورد الاحمر والمسك الاذفر ؛ و تنبه لما قيل : ان نور ابليس من نارالعزة لقوله تعالى : خلقتنى من نار[٦١] ؛ و لواظهر نوره للخلايق لعبدوه ؛ انما

٥٢ـ انعام ١٥٣
٥٣ـ يوسف ١٠٨
٥٤ـ مريم ٨٥
٥٥ـ حجر ٢٩
٥٦ـ ص ٧٨
٥٧ـ ص ٨٢
٥٨ـ اعراف ١٦
٥٩ـ بقره ٣٤
٦٠ـ اسرى ٦١
٦١ـ اعراف ١٢

سلطانه على الذين يتولونه والذينهم به مشركون[٦٢] ؛ و ذكر بعضهم النكتة فى ان الخليل لماذا قال : لماجن عليه الليل و رأى كوكبا : هذا ربى[٦٣] ، بما روى عن كعب الاحبار انه قرء فى التورية ان ارواح المؤمنين من نور جمال الله و ان ارواح الكافرين من نور جلال الله ؛ و فى الادعية النبوية : اللهم انى اعوذ بك منك .

فصل

فى مراتب الكفر

اعلم : ان الكفر على درجات متفاوتة ؛ و بازاء كل مرتبة من الايمان مرتبة من الكفر فمن مراتبه كفر القالب و كفر النفس و كفر القلب .

فاول درجات الكفر كفر القالب ؛ و هو ظاهر مكشوف لكل احد فمن انكر شيئاً من ضروريات الدين ، اورد علامة من علامات الشريعة ، فقد استحق القتل والاسر فى الدنيا و العذاب فى الاخرة .

و ثانيها كفر النفس؛ فلان النفس بالحقيقة هى الصنم الاكبر والطاغوت الاعظم. أ رأيت من اتخذ الهه هويه[٦٤] ؟ و فى الحديث : ابغض اله عبد فى الارض الهوى ؛ و قل من العباد من اجتنب عن عبادة صنم الهوى و طاعة طاغوت النفس ؛ فحرى ان يستعيذ الانسان منها الى الله و يدعوله ان يوفقه للاجتناب عنها ؛ و لعل دعاء ابراهيم عليه السلام فيما حكى الله عنه فى قوله: واجنبنى و بنى ان نعبد الاصنام[٦٥] ؛ هو للاجتناب عن هذه العبادة . فهذا كفر من كان بعد فى عالم الاكوان و لم يتجاوز عنه الى عالم الملكوت .

و اما كفر القلب ، فهو ان السالك اذا انجلى مرآة سره و كشف عن عين قلبه الغشاوة و ارتفع عنه الكدورة وتقوى حدقته ، فوقع فيها نور الحق و تجلى لها جمال الاحدية . فاذا غافصه[٦٦] تجليه فربما لم يثبت فاعتقد

٦٢ــ نحل ١٠٠ ٦٣ــ انعام ٧٦

٦٤ــ فرقان ٤٣ ٦٥ــ ابراهيم ٣٥

٦٦ــ اى اجائه واخذه على غرة منه ، واللازمة من اوازم الدهر ، اى على غفلة من غير استعداد، و اوازم جمع الازمة بمعنى الشدة والضيقة .

لذاته انها عين الحق ؛ و بادر لبقاء الانانية فيه ؛ و قال انه فيها ، فانا الحق او سبحانى ؛ او فقد تدرع باللاهوت ناسوتى ؛ الا ان يثبته الله تعالى بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا و فى الآخرة[٦٧] فيعرف ان الصورة الالهية ليست فى مرآة ذاته ؛ بل تجلت لها و ما حلت فيها ؛ بل ظهرت منها و لها ولو حلت ، لما تصور ان يتجلى صورة واحدة لمرائى متعددة فى حالة واحدة؛ بل كانت اذا حلت فى مرآة ارتحلت عن الاخرى وهيهات . فان الله تجلى لجملة من العارفين دفعة ؛ و ان كان فى بعض المرائى اصح ظهوراً و اقوم كشفا ؛ و فى بعضها اخفى و اميل الى الاعوجاج عن الاستقامة ؛ و ذلك لتفاوت المرائى فى الصفاء و الصقالة و صحة الوجه و استواء البسيط . فافهم جداً و تنبه لمعنى قوله تعالى : و مايؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون[٦٨] ؛ و قوله : يا ايها الذين آمنوا امنوا[٦٩] .

نقل عن ابى يزيد البسطامى انه قال : الهى ان قلت يوماً سبحانى ما اعظم شأنى ، فانا اليوم كافر مجوسى اقطع زنارى و اقول : اشهد ان لااله الاالله و اشهد ان محمداً رسول الله ، و قال الحلاج :

كفرت بدين الله والكفر واجب لدى و عند المسلمين قبيح

و اما كفر الروح فهو شرك خفى اخفى من كل شرك ؛ و هو منبع كل شرك و كفر و مبدأ كل شر و آفة ، الا و هو الامكان الثابت لجميع لما هيات الفاشى فى كل الموجودات المعلولة ؛ و لهذا قيل : كل ممكن زوج تركيبى. فالممكن الموجود اذا نظرت الى ماهيته من حيث هى هى، حكم العقل عليها بعدم الارتباط والنسبة الى الواجب تعالى و بجواز طريان العدم والبطلان عليها من تلك الجهة ؛ لانها غير مجعولة ؛ و اذا نظرت الى وجودها الفايض عليها من الحق ، حكم عليها بالوجوب و الحقية ، فكل ماسوى الاول تعالى باطلة بذواتها ، حقة بغيرها . فهذه الظلمة المستبطنة فاشية فى جميع العالم؛ الا انها مضمحلة فى المبدعات بسطوع نور الحق و اشراق شمس الاحدية ؛ بحيث لم يبق لها عين ولا اثر فى نفس الامر والواقع ؛ بل فى حيثية من

٦٧ـ ابراهيم ٢٧ ٦٨ـ يوسف ١٠٦
٦٩ـ نساء ١٣٦

حيثياته ، والواقع اوسع من تلك الحيثية ؛ والشيء الوجودي اذا تحقق في مرتبة من الواقع ، فقد تحقق في الواقع ؛ و لكن تحقق العدم في المرتبة لا يستلزم تحققه في نفس الامر ، و هذا الامكان المعبر عنه بالكفر امر عدمي، لان معناه سلب ضرورة الوجود و مقابله . فرفع ضرورة الوجود عن المرتبة لا يوجب رفعه عن الواقع ؛ فهذا الكفر و هذه الظلمة الثابتة للشيء في ظرف التحليل العقلي للموجود الى الماهية والوجود غير ثابت في الواقع للملائكة المهيمين و عبادالله المقربين، ولا يحزنهم الفزع الاكبر لانجباره بالاشراق الدائم من نورالاول على ذواتهم ؛ فافهم واغتنم .

المشهد الثامن

في ان المطاردة بين جنود الملك و جنودالشيطان، انما يقع في مملكة الادمي و معركة قلبه

اعلم يا حبيبي ، فتح‌الله لك الجنة بمفتاح المعرفة والهداية ، ان اشرف البقاع هو قلب المؤمن ؛ فلا تجد دياراً طيبة ولابساطين عامرة ولارياضاً ناضرة الاوقلب‌المؤمن‌اشرف‌منها،بل‌قلب‌المؤمن كالمرآة‌في‌الصفاء والنورية بل‌فوق‌المرآة‌لان‌المرآة‌ان‌اعترض عليهاحجاب‌لم‌يرفيهاشيء وقلب‌المؤمن‌لا يحجبه‌السموات‌السبع والكرسي‌والعرش، كماقال‌الله‌تعالى : اليه يصعد‌الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه[٧٠] ؛ بل القلب مع جميع هذه الحجب يطالع جمال الربوبية و يحيط علماً بالصفات الصمدية ، ولانه بيت‌الله كما في قوله: يا داود فرغ بيتي لعبادتك ؛ انا عند المنكسرة قلوبهم . و مما يدل على ان قلب المؤمن اشرف البقاع وجوه :

الاول : ان النبي صلى‌الله عليه و آله قال : القبر روضة من رياض‌الجنة و ما ذاك الا انه صار منزل قلب عبد صالح ؛ فاذا كان القلب سريراً لمعرفة‌الله و عرشاً لالهيته ، وجب ان يكون اشرف و ارفع .

الثاني : ان‌الله تعالى يقول : يا عبدي قلبك بستاني و جنتي بستانك . فلما لم تبخل على ببستانك بل انزلت معرفتي فيه ، فكيف ابخل ببستاني

٧٠ـ فاطر ١٠

عليك ، او كيف امنعك منها ؟

الثالث : انه تعالى حكى كيفية نزول العبد فى بستان الجنة فقال فى مقعد صدق عند مليك مقتدر[٧١] ؛ و لم يقل عند المليك ؛ كأنه قال : انا فى ذلك اليوم اكون مليكا مقتدرا و عبيدى يكونون ملوكاً ؛ الا انهم يكونون تحت قدرتى . فاذا كان القلب الانسانى اشرف البقاع لايقاً بالملوك ، فما من مملكة وسيعة الاوفيه تداع ولاجله تخاصم بين ملكين او اكثر، ولا ينفتح لاحدهما الا بجهد جهيد . فالمطاردة بين الملك والشيطان قائمة فى معركة قلب الانسانى .

اذا عرفت هذا فنقول : كانه تعالى يقول لك : يا عبدى انى جعلت جنتى لك وانت جعلت جنتك لى ؛ لكنك ما انصفتنى ، فهل رأيت جنتى الان ؟ و هل دخلتها ؟ فيقول العبد : لا يارب ؛ فيقول تعالى : و هل دخلت جنتك؟ فلابد و ان يقول : نعم يارب ؛ فيقول تعالى : انك ما دخلت جنتى ، و لكنه لما قرب دخولك اخرجت الشيطان من جنتى لاجل نزولك ، و قلت له : اخرج منها مذؤما مدحوراً [٧٢] ، فاخرجت عدوك قبل نزولك ؛ و امـا انت فبعد نزولى فى بستانك سبعين سنة ، كيف يليق بك ان لاتخرج عدوى ولا تطرده . فعندهذا ينبغى ان يقول : الهى انت قادر على اخراجه من جنتك؛ و اما انا فعاجز ضعيف ولا اقدر على اخراجه . فيقول الله تعالى : العاجز اذا دخل فى حماية الملك القاهر صارقويا ، فادخل فى حمايتى حتى تقدر على اخراج العدو من جنة القلب ؛ و اذكرنى كثيراً ؛ انا عند من ذكرنى .

فان قيل : فاذا كان القلب بستان الله فلماذا لم يخرج الشيطان عنه ؟

قلنا : قال اهل الاشارة : كانه تعالى يقول للعبد : انت الذى انزلت سلطان المعرفة فى حجرة قلبك ؛ و من اراد ان ينزل سلطانا فى حجرة نفسه، وجب عليه ان يكنس تلك الحجرة ؛ و ان عليه ان ينظفها ؛ ولايجب على السلطان تلك الاعمال . فيجب عليك ان تنظف بيت قلبك من لوث الوسوسة و ظلمة آثار اللعين .

٧١ـ قمر ٥٥ ٧٢ـ اعراف ١٨

فصل

قد مرت الاشارة سابقا الى ان القلب الانسانى صالح بالفطرة الاولى لقبول الاثار الملكية والشيطانية؛ وان التطارد بين جندى الملائكة والشياطين قائم فى معركة الباطن الانسانى الى ان ينفتح القلب لاحدهما ، فيستمكن و يستوطن و يكون اجتياز الثانى اختلاساً .

فاعلم : ان اكثر القلوب قدفتحها جنود الشيطان و ملكوها ، فامتلات بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة و اطراح الاخرة؛ ومبدأ استيلائها اتباع الهوى ، ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشياطين ، و هو الهوى و الشهوات و عمارته بذكر الله الذى هو مطرح انوار الملائكة، فالتطارد بين ذكر الله و وسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام و بين الليل والنهار ، ولتطاردهما قال تعالى : استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله[۷۳] و كما ان الشهوات ممتزجة بلحم الادمى و دمه ، فسلطنة الشيطان ايضاً سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه، ولذلك قال صلى الله عليه و آله : ان الشيطان ليجرى من بنى آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع و ذلك لان الجوع يكسر الشهوة ، و مجرى الشيطان الشهوات ، و لاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه . قال تعالى اخباراً عن ابليس : لاقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لاتينهم من بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم[۷٤] و قال رسول الله صلى الله عليه و آله : ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق ، فقعد له بطريق الاسلام فقال : اتسلم و تترك ابائك ؟ فعصاه واسلم، ثم قعدله بطريق الهجرة فقال: اتهاجر فتدع ارضك وسمائك ؟ فعصاه وهاجر، ثم قعدله بطريق الجهاد فقال : اتجاهد وهو تلف النفس والمال ، فتقاتل فتقتل ، فتنكح نسائك و تقسم مالك فعصاه ، و جاهد . قال رسول الله صلى الله عليه و آله : فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة ، فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه و آله معنى الوسوسة و هى هذه الخواطر التى تخطر للمجاهد ، انه تقتل و تنكح نساؤه و غير ذلك مما يصرفه عن الجهاد .

۷۳ــ مجادله ۱۹ ۷٤ــ اعراف ۱٦ و ۱۷

المشهد التاسع

فى كيفية المطاردة بين جنود الملك و جنود الشيطان فى معركة القلب المعنوى للانسان، و هو نفسه الناطقة

بيان تلك المطاردة هو كما ذكره صاحب احياء العلوم ، و هو ان خاطر الهوى يبتدىء اولا فيدعوه الى الشر، فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير ، فينبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة و تحسن التمتع و التنعم ، فينبعث العقل الى خاطر الخير و يدفع فى وجه الشهوة ويقبح فعلها و ينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع فى تهجمها على الشر، و قلة اكتراثها بالعواقب ، و يميل النفس الى نصح العقل ، فيحمل الشيطان حملة على العقل و يقوى داعى الهوى فيقول : ما هذا الزهد البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذى نفسك، وهل ترى احداً من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه ، افتترك ملاذ الدنيا لهم يتمتعون بها ، و تحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقياً متعوبا ، يضحك عليك اهل الزمان ، تريدان يزيد منصبك على فلان و فلان و قد فعلوا مثل ما اشتهيت و لم يمتنعوا، اما ترى العالم الفلانى ليس يحترز من مثل ذلك، ولو كان شراً لامتنع عنه، فتميل النفس الى الشيطان و تنقلب اليه ، فيحمل الملك حملة على الشيطان و يقول : هل لك الا من اتبع لذة الحال و نسى العاقبة ؟ افتقنع بلذة يسيرة و تترك الجنة و نعيمها ابد الاباد ؟ او تستثقل الم الصبر عن شهوتك و لاتستثقل الم النار ؟ اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم و اتباعهم هواهم ، و مساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا تخفف بمعصية غيرك ، فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك ، فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذباً بين الحزبين ، الى ان يغلب على القلب من هواولى به ، فان كان الصفات التى فى القلب الغالب عليهـا الصفات الشيطانية التى ذكرناها ، غلب الشيطان و مال القلب الى حزب من احزاب الشيطان ، معرضاً عن حزب الله و اوليائه ، و مساعداً لحزب الشيطان و اعدائه ، و جرى على جوارحه سوابق القدر ما هو سبب بعده عن الله وان كان الغالب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان و تحريصه اياه على العاجلة و تهوينه امر الاجلة ، بل مال الى حزب الله و

ظهرت الطاعة بموجب ماسبق من القضاء على جوارحه ، فقلب المؤمن كما مربين اصبعين من اصابع الرحمن ، اى تجاذب هذين الحزبين، ورب قلب هذا حاله، اى الانتقال من حزب الى حزب ، مترددا بينهما بالقياس الى بعض الشهوات دون بعض كالذى يتورع عن بعض الأشياء ، ولكنه اذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه و قلبه و طاش عقله و سقط مساك قلبه ، او كالذى لايملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر، ولايبقى معه مسكة ليتثبت[٧٥] عند ظهور اسبابه ، او كالذى لايملك نفسه عند الغضب مهما استحقر و ينسى فيه المروة والتقوى ، و رب قلب استولى عليه جند الشيطان وانفتح له وخرج منه جند الملك و ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب ، حتى اظلم و ينتفى فيه انوار البصيرة و يطفى نور الحياء والمروة والايمان ، فيسعى فى تحصيل مراد الشيطان .

كشف غطاء

و اعلم ان رأس جميع الصفات الملكية و رئيسها المطاع لحزب الله و جنود الرحمن ، هو نور العلم و روح المعرفة و البرهان ، و رأس جميع الصفات المهلكة الشيطانية ورئيسها المطاع لجنود الشيطان كلها هو ظلمة الجهل و الغواية. فما هلك من هلك الا بسبب ظلمة الجهل وتوابعه، وما سعد من سعد الا بسبب نور العلم و توابعه ، فكل قلب وقع فيه شىء من نور المعرفة ، حمل العقل على تطهيره بالتقوى ، وتزكيته بالرياضة وتنقيته عن خبائث الاخلاق، فاذا فعل ذلك ينقدح فيه من خزائن الملكوت و مداخل الغيب خواطر الخير، فينظر[٧٦] العقل الى التفكر فيما خطر[٧٧] ، لتعرف دقايق الخير فيه و يطلع اسرار فوائده ، فينكشف له بنور البصيرة وجهه ، فيحكم بانه لابد من فعله و تستحث عليه و يدعوه الى العمل به ، فينظر الملك الى القلب فيجده طيباً فى جوهره ، طاهرا بتقواه ، مستنيراً بضياء العقل ، معموراً بانوار المعرفة ، فيراه صالحاً لان يكون له مستقراً و مهبطا ، فعند ذلك يمده و يؤيده بجنود لاترى

٧٥ـ للتثبيت (احياء)
٧٦ـ فينصرف (احياء)
٧٧ـ له، ليعرف (احياء)

و يهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير و فى مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكوة الربوبية ، حتى لا يخفى فيه الشرك الخفى الذى هو اخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الملساء ، و لا يخفى على هذا النور خافية ، و لا يروج عليه شىء من مكائد الشيطان ، بل يقف الشيطان و يوحى زخرف القول غروراً و لا يلتفت اليه.

و اما اذا كان مشحونا بالجهل ، ضالا عن سمت الحق ، مسدوداً عنه طرق الملائكة ، مغلقا عليه ابواب المعرفة ، فكلما انقدح فيه خاطر من الهوى و هجس فيه ، فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتى منه و يستكشف وجه الصواب فيه ، فيكون العقل قدالف خدمة الهوى فآنس به و استمر على استنباط الحيل له و على مساعدة الهوى ، فتستولى و تساعد عليه ، فينشرح الصدر بالهوى و تنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته ، فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى ، فيقبل بالتريين والغرور والامانى ، و يوحى بذلك زخرفا من القول غروراً ، فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد و يخبو لو كان فيه قليل من نور اليقين لقلته و غلبة سلطان الهوى ، اذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه ، حتى تنطفىء نور المعرفة و يصير العقل كالعين التى ملأ الدخان اجفانها، فهكذا تفعل غلبة الشهوة بالعقل حتى تعميه و تحركت الجوارح على وفق الهوى و ظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله و قدره و الى هذا القلب الاشارة بقوله تعالى : أ رأيت من اتخذ الهه هويه الى قوله بل هم اضل سبيلا[٧٨] و بقوله : لقد حق القول على اكثرهم فهم لايؤمنون الايات[٧٩] .

تبصرة

قد ظهر ان هذه الطاعات و المعاصى كلها انما ظهر من مكامن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب الانسانى ، فانه من خزائن الملكوت، و هى اذا ظهرت كانت علامات لارباب البصاير الثاقبة ، يعرفون بها سابق

٧٨ـ فرقان ٤٣ و ٤٤ ٧٩ـ يس ٧

القضاء فى حق العبد ، فمن خلق للجنة يسر له الطاعة و اسبابها و من خلق للنار يسر له اسباب المعصية و سلط عليه اقران السوء والقى فى قلبه حكم الشيطان ، فانه بانواع الحيل يغتر[۸۰] الحمقى الجاهلين ، كقوله : ان الله رحيم بعباده ، فلاتبال و ان الناس كلهم لايخافون الله ، فلاتخالفهم ، فان العمر طويل ، فاصبر حتى يتوب غدا ، هكذا يعدهم و يمنيهم و ما يعدهم الشيطان الا غرورا[۸۱] ، يعدهم بالتوبة و يمنيهم بالمغفرة ، فيهلكهم بهذه الحيل و ما يجرى مجراها ، فيوسع القلب بقبول الغرور و يضيقه عن قبول الحقايق ، كل ذلك بقضاء من الله و قدره ، و من يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجاً كانما يصعد فى السماء[۸۲] ، ان ينصركم الله فلا غالب لكم و ان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده[۸۳] ، فهو الهادى والمضل ، يفعل مايشاء و يحكم مايريد ، لاراد لحكمه ولامعقب لقضآئه، خلق الجنة وخلق لها اهلا، فاستعملهم بالطاعة، وخلق النار و خلق لها اهلا ، فاستعملهم بالمعاصى و عرف الخلق علامة كل منهما فقال : ان الابرار لفى نعيم و ان الفجار لفى جحيم[۸٤] ثم قال : هؤلاء للجنة ولا ابالى و هؤلاء للنار ولاابالى ، فتعالى الملك الحق[۱] ، لا يسئل عما يفعل و هم يسئلون[۲] و هاهنا اسرار لا يحتمل دركها اكثر المتسمين بالعلماء يشمأز عنها قلوبهم ، كما يشمأز المزكوم عن رايحة الورد ، فلنصرف عنها عنان البيان الى نمط اخر اوفق لعقول الاكثرين .

المشهد العاشر

فى وجود الجن والشياطين

و اعلم : ان معرفة وجود الملك و وجود الجن من المعارف المهمة و الاصول الاعتقادية ، التى لابد للمؤمن الحقيقى والعارف الربانى ان يعلمها بنور البصيرة و نحن سنتكلم فى نحو وجود الملك و اقسامه الاولية و ثوانيها

۸۰ـ يغير ن م ل
۸۱ـ نساء ۱۲۰
۸۲ـ انعام ۱۲۵
۸۳ـ آل‌عمران ۱٦۰
۸٤ـ انفطار ۱۳
۱ـ مؤمنون ۱۱٦
۲ـ انبياء ۲۳

فی باب مفرد ان‌شاءالله ، فهاهنا نقتصر فی بیان وجود الجن والشياطين و تحقیق ماهیتهما ، فان من الناس من انکر وجودهما ، فلابد اولا من البحث عن ماهيتهما .

فنقول : اطبق الكل على انهما ليسا عبارتين عن اشخاص جسمانية كثيفة تجیء و تذهب مثل الناس و البهایم ، بل القول المحصل فيه اثنان : الاول انها اجسام هوائية قادرة على التشكل باشكال مختلفة و لها عقول و افهام ولها قدرة على افعال شاقة الثانی ان الحكماء اثبتوا موجودات لامتحيزة و لاحالة فی المتحيز و قالوا : انها مجردات عن الاجسام .

ثم هذه الموجودات قد تكون عالية مقدسة عن تدبير الاجسام بالكلية و هی الملائكة المقربون كما قال : و من عنده لايستكبرون عن عبادته[٨٥] و يليها مرتبة الارواح المتعلقة بتدبير الاجسام و اشرفها حملة العرش كما قال : و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية[٨٦] والمرتبه الثانية الحافون حول العرش كما قال : و ترى الملائكة حافين من حول العرش[٨٧] ، والمرتبة الثالثة ملائكة الكرسی ، والمرتبة الرابعة ملائكة السموات طبقة فطبقة ، و المرتبة الخامسة ملائكة كرة الاثير ، والمرتبة السادسة ملائكة الهـواء الذی هو كرة النسيم ، والمرتبة السابعة ملائكة كرة الزمهرير ، والمرتبة الثامنة الارواح المتعلقة بالبحار[٨٨] ، و المرتبة التاسعة المتعلقة بالجبال ، و المرتبة العاشرة الارواح السفلية المتصرفة فی هذه الاجسام الجمادية و النباتية و الحيوانية الموجودة فی هذا العالم ، و على كلا القولين : فهذه الارواح قد تكون مشرقة الهية خيرة سعيدة ، فهی المسماة بالصالحين من الجن و قد تكون كدرة شريرة شقية و هی المسماة بالشياطين ، واحتج المنكرون لوجود الجن بوجوه :

منها انه لو كان موجوداً لكان اما جسماً كثيفا صلبا فيكون مرئيا و ليس كذلك ، و لا يمكن له ايضاله النفوذ فی الجدران و غيرها و فی المنافذ الضيقة، والمقدر خلافه ، و ان كان جسما لطيفا شفافا فيتمزق سريعاً ولايقدر

۸۵ـ انبياء ۱۹
۸۶ـ حاقة ۱۷
۸۷ـ زمر ۷۵
۸۸ـ بالبحار ن م ل

على الاعمال الشاقة .

والجواب عنه : ان الذى ذكرتموه يدل على انه يمتنع كون الجن جسماً ، فلم لايجوز ان يكون جوهراً مجرداً ، و اعلم : ان القائلين بهذا القول فرق :

الفرقة الاولى : ان النفوس الناطقة البشرية المفارقة عن الابدان ، قد يكون خيرة و قد يكون شريرة ، فان كانت خيرة فهى الملائكة الارضية ، وان كانت شريرة فهى الشياطين ، فاذا احدث بدن شديد المناسبة لتلك النفس المفارقة ، فلها ضرب تعلق بهذا البدن الحادث ، فيصير تلك المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن على الاعمال اللايقة بها ، فان كانت النفسان من النفوس الطاهرة المشرفة الخيرة ، كانت تلك المعاونة والمعاضدة الهاماً ، و ان كانتا من النفوس الخبيثة الشريرة ، كانت تلك المعاونة و المناصرة وسوسة ، فهذا هو معنى الالهام والوسوسة على قول هؤلاء .

الفرقة الثانية : الذين قالوا : ان الجن والشياطين جواهر مجردة عن الجسمية و علايقها ، و جنسها مخالف لجنس النفوس الناطقة البشرية ، ثم ان ذلك الجنس يندرج فيه انواع ، فان كانت طاهرة نورانية فهى الملائكة الارضية ، وهم المسمون بصالحى الجن ، و ان كانت خبيثة شريرة فهى الشياطين الموذية .

اذا عرفت هذا فنقول : الجنسية فى الاوصاف علة الضم ، فالنفوس البشرية الطاهرة النورانية ، تنضم اليها تلك الارواح الطاهرة النورانية ، و يعينها على اعمالها التى هى من باب الخيرات والمبرات ، والنفوس الشريرة الخبيثة ، تنضم اليها تلك الارواح الخبيثة الشريرة ، يعينها على اعمالها التى هى من باب الشر والاثم والعدوان .

الفرقة الثالثة : وهم الذين ينكرون وجود الارواح السفلية ، و لكنهم اثبتوا الارواح المجردة الفلكية ، و زعموا ان تلك الارواح ارواح عالية قاهرة قوية ، و هى مختلفة بالجواهر والماهيات ، وكما ان لكل روح من تلك الارواح المجردة بدن معين ، وهو ذلك الفلك المعين ، وكما ان الروح البشرى يتعلق اولا بالقلب ، ثم بواسطته يتعدى اثر ذلك الروح الى كل البدن ،

فكذلك الروح الفلكى يتعلق اولا بالكوكب، ثم بواسطته يتعدى اثر ذلك الروح الى كل ذلك الفلك والى كلية العالم، وكما انه يتولد فى القلب والدماغ ارواح لطيفة، وتلك الارواح تتأدى فى الشرائين والاعضاء الى اجزاء البدن، ويتصل بهذا الطريق قوة الحس والحيوة والحركة الى كل جزء من اجزاء البدن، فكذلك ينبعث من جرم الكوكب خطوط شعاعية تتصل بجوانب العالم، و تتأدى قوة ذلك الكوكب بواسطة تلك الخطوط الشعاعية الى اجزاء هذا العالم، وكما ان بواسطة الارواح الفايضة من القلب والدماغ والكبد الى اجزاء البدن، يحصل فى كل جزء منه قوى مختلفة، و هى الغاذية والنامية والمولدة والحساسة، فيكون هذه القوى كالنتايج والاولاد لجوهر النفس المدبرة لكل البدن، فكذلك بواسطة الخطوط الشعاعية المنبثة من الكواكب الواصلة الى اجزاء العالم، تحدث فى تلك الاجزاء نفوس مثل نفوس زيد و عمرو و بكر، و هذه النفوس كالاولاد لتلك النفوس الفلكية، و لما كانت تلك النفوس الفلكية مختلفة فى جواهرها و ماهيتها، فكذلك النفوس المتولدة من نفس فلك زحل، متجانسة متشاركة، و يحصل بينها محبة و مودة، و تكون النفوس المنتسبة الى روح زحل مخالفة بالطبع والماهية للنفوس المنتسبة الى روح المشترى.

اذا عرفت هذا فقالوا: ان العلة فى كل شيء يكون اقوى من المعلول فلكل طائفة من النفوس البشرية طبيعة خاصة، و هى يكون معلولة لروح من تلك الارواح الفلكيه، و تلك الطبيعة يكون فى الروح الفلكى اقوى و اعلى بكثير منها فى هذه الارواح البشرية، و تلك الروح الفلكى بالنسبة الى تلك الطائفة من الارواح البشرية كالاب والسلطان الرحيم، فلهذا السبب تلك الارواح الفلكية تعين اولادها على مصالحها، و تهديها تارة على سبيل الرؤيا، و اخرى فى اليقظة على سبيل الالهام، ثم اذا اتفق لبعض هذه النفوس قوة قوية من جنس تلك الخاصية، و قوى اتصال روحه بالروح الفلكى الذى هو اصله و معدنه، ظهرت عليه افعال عجيبة و اعمال خارقة للعادات، فهذا تفصيل مذاهب من يثبت الشياطين والجن من طريق العقل.

واما الذين زعموا الجن والشياطين اجساماً لطيفة، اجابوا عن الاعتراض

السابق بهذا الوجه : و هو ان الاجسام و ان كانت متساوية فى الحجمية والمقدار ، الا انها متخالفة بالحقيقة ، اذالمتخالفات بالحقيقة يجوز اشتراكها فى بعض اللوازم ، فاذا ثبت هذا فلم لايجوز ان يقال : بعض انواع الاجسام اجسام لطيفة نفاذة حية لذاتها ، قادرة على الاعمال الشاقة لذواتها، وهى غير قابلة للتفرق اوالتمزق ، و اذا كان كذلك ، فتلك الاجسام قادرة على تشكيل انفسها باشكال مختلفة ، ثم ان الرياح العاصفة لاتمزقها ، والاجسام الكثيفة لاتفرقها ، اليس ان الفلاسفة قالوا : ان النار التى تنفصل عن الصواعق ، تنفذ فى اللحظة القليلة فى بواطن الاحجار والحديد و يخرج من جوانب الاخرى، فلم لايعقل مثله فى هذه الصورة ، فعلى هذا التقدير يكون الجن قادرة على النفوذ فى بواطن الناس و على التصرف فيها ، و انها تبقى حية فعالة مصونة عن الفساد الى الاجل المعين والوقت المعلوم ، ولايبعد ايضاً ان يكون ابدانهم قابلة للتخلخل والتكاثف ، فاذا تكاثفت رؤيت ، واذا تخلخلت غابت عن الابصار، والحق ان لها نفوساً قوية غالبة على اجسامها ، قادرة على تبديل جلودها الى جلود اخرى من غير لزوم التناسخ ، كما حققنا فى مقامه ، والدليل على ان الجن مخلوق من النار قوله تعالى : والجان خلقناه من قبل من نار السموم[٨٩] و قال تعالى حاكيا عن ابليس انه قال : خلقتنى من نار و خلقته من طين[٩٠] ، و ما كذبه فى ذلك .

واعلم ان حصول الحيوة فى النار غير مستبعد ، الاترى ان الاطباء قالوا : ان المتعلق للنفس هوالقلب والروح ، و هما فى غاية السخونة عندهم، بل نزيد و نقول: اطبقوا ان الحيوة لايحصل الا بسبب الحرارة الغريزية ، و قال بعضهم : الاغلب على الظن ان كرة النار تكون مملوة من الروحانيات ، و هذا امر محقق عندالمكاشف .

فصل

فى ادلة قرآنية على وجود الجن والشياطين

اعلم ان الايات القرآنية والاحاديث الصحيحة تدلان على وجودالجن

٨٩ـ حجر ٢٧ ٩٠ـ اعراف ١٢

والشياطين ، اما الايات فاحدها قوله : و اذ صرفنا اليك نفراً من الجن[91] ، و ثانيها : واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان[92] ، و ثالثها : ما فى قصة سليمان عليه السلام : ولسليمان الريح... الى قوله : و من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه... الاية[93] ، و قوله : يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل[94]... الاية ، و رابعها : يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا الاية[95]، و خامسها : انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب و حفظا من كل شيطان مارد[96].

و اما الاخبار فكثيرة ، منها قوله صلى الله عليه و آله : ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ، و قوله صلى الله عليه و آله : ما منكم الاوله شيطان الحديث ، و منها ما روى عن ابى سعيد الخدرى انه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه و آله : ان بالمدينة جناً قد اسلموا ، فمن بدالكم منهم فاذنوه ثلاثة ايام ، فان عاد فاقتلوه ، فانه شيطان ، و منها ما روى انه لما اسرى رسول الله صلى الله عليه و آله رأى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من النار، كلما التفت رآه ، فقال جبرئيل : الا اعلمك كلمات اذا قلتهن طفئت شعلته وخر على وجهه، قل اعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله[97] التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها ، و من شر ما يلج فى الارض و ما يخرج منها ، و من شر فتن الليل والنهار ، و من شر طوارق الليل والنهار ، الا طارقاً يطرق بخير يا رحمن ، و منها ماروى ايضاً انه قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وآله : انى اروع فى منامى، قال صلى الله عليه وآله : قل اعوذ بكلمات الله التامات من غضبه و عقابه و من شر عباده ، و من همزات الشياطين و ان يحضرون ، و منها ما اشتهر وبلغ مبلغ التواتر من خروج النبى صلى الله عليه وآله ليلة الجن، وقرائته عليهم ودعوته الى الاسلام ، و ما اشتهر ايضاً من خروج امير المؤمنين عليه السلام و محاربته

۹۱ــ احقاف ۲۹
۹۲ــ بقره ۱۰۲
۹۳ــ سبا ۱۲
۹٤ــ سبا ۱۳
۹۵ــ رحمن ۳۳
۹٦ــ صافات ۷
۹۷ــ الله التامات (احياء)

معهم ، و ما اشتهر ایضاً من مخاطبةالثعبان مع امیرالمؤمنین علیه‌السلام ، علی‌المنبر فی مسجد الکوفة ، و منها ماروواه ثقةالاسلام محمدبن‌یعقوب الکلینی عن ابان بن عثمان عن ابی عبدالله علیه‌السلام ، قال شکی الیه رجل، عبث اهل الارض باهل بیته و بعیاله ، فقال : کم سقف بیتك ، فقال : عشرة اذرع ، فقال : اذرع ثمانیة اذرع ، ثم اکتب ایةالکرسی فیما بین‌الثمانیة الی العشرة کما تدور، فان‌کل بیت سمکه اکثر من ثمانیة اذرع ، فهو محتضر[98] یحضره الجن یکون فیه یسکنه ، و فی روایة اخری ان‌الشیطان لیس فی‌السماء ولا فی‌الارض و انما یسکن الهواء ، وروی یعقوب بن سالم یرفعه قال: قال امیرالمؤمنین علیه‌السلام: لاتئووا[99] التراب خلف‌الباب، فانه مأوی‌الشیاطین، و عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام قال : نهی رسول‌الله ان یدخل بیت مظلم الا بمصباح ، وروی ان عیسی‌بن‌مریم علیه‌السلام دعا ربه ان یریه موضع‌الشیطان من بنی آدم ، فاراه ذلك ، فاذن رأسه مثل رأس‌الحیة واضع رأسه علی قلبه ، فاذا ذکرالله تعالی خنس ، فاذا لم یذکره وضع رأسه علی حبة قلبه ، و فی الاحادیث کثرة ، و فیما ذکرناه کفایة .

فصل

اتفقوا علی ان‌الملائکة لایأکلون ولا یشربون ولا ینکحون ، یسبحون اللیل والنهار لایفترون[100] . و اما الجن والشیاطین فانهم یأکلون ویشربون، قال رسول‌الله صلی‌الله علیه و آله : فی‌الروث[101] والعظم انه زاد اخوانکم من‌الجن ، و ایضا : فانهم یتوالدون قال تعالی : افتتخذونه و ذریته اولیاء من دونی[102] .

فصل

المشهور ان‌الجن لهم قدرة علی النفوذ فی بواطن البشر، وانکرذلك

۹۸ــ ای کثیرالافة

۹۹ــ ای لاتجتمعوا ، من وأی یئی وأیاً .

۱۰۰ــ انبیاء ۲۰

۱۰۱ــ ای سرجین الفرس وکل ذی حافر

۱۰۲ــ کهف ۵۰

اكثر المعتزلة، والمثبتون تمسكوا فی ذلك بوجوه:
الاول: انه ان كان الجن عبارة عن موجود غيرجسم ولاجسمانی، فحينئذ يكون معنی كونه قادرا علی النفوذ فی باطنه، انه يقدر علی التصرف فی باطنه تصرف روحانی فی روحانی اخر، و ذلك غير مستبعد، و ان كان عبارة عن حيوان هوائی لطيف نفاذ، كما وصفناه، كان نفاذه فی باطن بنی آدم ايضاً غير ممتنع؛ قياساً علی النفس الهوائی والروح البخاری و غيرهما.
الثانی: قوله تعالی: لايقومون الا كما يقوم الذی يتخبطه الشيطان من المس[١٠٣].
الثالث قوله صلی الله عليه وآله: ان الشيطان ليجری من ابن آدم مجری الدم، الا فضيقوا مجاريه بالجوع، و قوله: لولا ان الشياطين يحومون علی قلوب بنی آدم، لنظروا الی ملكوت السموات، و من الناس من قال: ان هذه الاخبار لابد من تأويلها، لانه يمتنع حملها علی ظواهرها، واحتج عليه بوجوه: الاول نفوذ الشياطين فی بواطن الانسان محال، لانه يلزم اما اتساع المجاری او تداخل الاجسام، الثانی ان العداوة الشديدة حاصلة بينه و بين اهل الدين، فلو قدر علی هذا النفوذ فلم لم يخصهم بمزيد الضرر، الثالث ان الشيطان مخلوق من النار فلو نفذ فی باطن لصار كأنه نفذ النار فيه، و معلوم انا لانحس بذلك، الرابع ان الشياطين يحبون المعاصی من انواع الكفر والفسوق، ثم انا نتضرع باعظم الوجوه اليهم ليظهروا انواع الكفر والفسوق، فلا نجد منه اثراً ولافايدة و بالجملة فلانری من عداوتهم ضرراً، ولامن صداقتهم نفعاً، الخامس قوله تعالی حكاية عن ابليس: و ما كان لی عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لی[١٠٤]، صرح بانه ما كان له علی البشر سلطان الا من الوجه الواحد، واجاب المثبتون للشياطين، اما عن الاول فبانه علی القول بانهم نفوس مجردة، فالسؤال زايل، و علی القول بانها اجسام لطيفة كالضوء والهواء، فالسؤال ايضاً زايل، و اما عن الثانی فبانه لايبعدان يقال: ان الله و ملائكته يمنعونهم عن ايذاء البشر، و اما عن الثالث

١٠٣ــ بقره ٢٧٥ ١٠٤ــ ابراهيم ٢٢

فبانه لماجازان یقول‌الله لنار نمرود: یا نار کونی برداً وسلاماً علی ابراهیم[۱۰۵]، فلم لایجوزان یکون مثله هاهنا ، واما عن‌الرابع ان‌الشیاطین مختارون فی افعالهم ، ولعلهم یفعلون بعض‌القبایح دون بعض .

بصیرة کشفیة

اکثر ما ذکرناه فی هذا الباب کلام غیرالمکاشفین ، و من رام ان یعرف حقیقة الملك والجن من طریق البحث والفکر او النقل والاثر من غیر سلوك اهل‌البصیرة ، فقد استسمن ذا ورم .

واعلم : ان‌الجن من‌الاجتنان ، و هوالاختفاء والاستتار ، و لهذا سمیت الملائکة جناً فی قوله تعالی : و جعلوا بینه وبین‌الجنة نسباً[۱۰۶] ، و سمیت‌الجنة جنة لاجتنانها ، کما قال صلی‌الله علیه وآله : ان فی‌الجنة مالاعین رأت ولااذن سمعت ولاخطر علی قلب بشر، و فی روایة قال‌الله تعالی : اعددت لعبادی الصالحین مالاعین رأت الحدیث ، فکل ذلك راجع الی‌الاستتار ، والاستتار ما هو علی نمط واحد کما زعمه الناس ، والناس فی غفلة عریضة عن کیفیة هذا الاستتار الذی قد تجامع الظهور ، کما فی قوله تعالی : و هو معکم اینما کنتم[۱۰۷] ، و فی قوله : ما یکون من نجوی ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم[۱۰۸] ، الا فانظر ما اخفی هذا . مع انا لانشك فیه، مقرین به ایمانا بالقرآن ، فهذا مشهود محجوب ولاحجاب وجودی ولاحکم للعدم ، و کذلك نؤمن ان‌الملك والشیطان معنا ، فلیس بیننا و بین الشیطان حجاب محسوس ولا حاجز ملموس ، ثم ان اعیننا ناظرة ، و مع ذلك فانا لاندرك الملك والجان ، و هو یرانا و قبیله من حیث لانروه ، فهو و قبیله یرانا شهوداً عینیاً ، و نحن نراه و قبیله ایمانا لاعیناً ، فما هذا السترالذی لوکان بیننا لحجبهم عنا کما یحجبنا عنهم ، فلابد من تعیین حکمة فی ذلك ، و کذلك الحجب التی ذکرها الله انها بینه و بیننا من نور و ظلمة ، و هذه الحجب مرتفعة فی حق العارفین ، فیشهدونه و ینکره المحجوبون من علماء الرسوم،

۱۰۵ــ انبیاء ۶۹ ۱۰۶ــ صافات ۱۵۸
۱۰۷ــ حدید ۴ ۱۰۸ــ مجادله ۷

فيسمى بالظاهر و الباطن ، هذا فى حق هؤلاء العارفين من اهل الله ، و هذا فى حق هؤلاء المحجوبين ، و ليس المكشوف لهؤلاء والمستور لهؤلاء الا هو سبحانه ، فاهل الله الذين هم اهله لم يزالوا و لايزالون دنيا و اخرة فى مشاهدة عينية دائمة .

فان قلت: فموسى (ع) احق بهذه الصفة من الولى وقد سئل الرؤية، ولو كان دائم المشاهدة لكان سواء له طلب الحاصل و هو محال .

قلنا : ان كنت مؤمناً و ان لم تكن من اهل الكشف ، فلاتشك فى هذه لقوله تعالى : و هو معكم اينما كنتم[١٠٩] ، و قوله : انا عندالمنكسرة قلوبهم ، و قوله عليه السلام : قلب المؤمن بيت الله ، و قول امير المؤمنين عليه السلام: ما كنت اعبد ربا لم اره ، الى غير ذلك من الايات و الاحاديث المفيدة لهذا المعنى .

فاذا علمت هذا تعلم : ان موسى عليه السلام قد رأى الحق بما هو متجلى للاولياء ، و انما اراد التجلى فى الصورة التى لا يدركها الا الانبياء صلوات الله عليهم ، و من الانبياء من خصه الله بمقام فى المشاهدة لم ينله غيره ، كالكلام بارتفاع الوسايط ، فطلب موسى عليه السلام ان يرى ربه على الوجه الذى يطلبه مقامه ، و اما رؤيته على الوجه الذى يراه الاولياء ، فذلك عادته و ديدنه ، و ما كنت تقول مثل هذا معترضاً الا لكونك لست بولى ولا عارف، اذ لو كنت من العارفين لشهدته ، و لم يغب عنك علم ما اجبنا عن سؤالك به ، فلرؤية الله عين اخرى ناظرة الى ربها ، و كذلك لرؤية الملائكة و الجن والشياطين عيون اخرى ناظرة اليها على حسب مقام الحضور لكل قلب ، و لهذا يرى المحتضر ما لايراه جلساؤه ، و يخبرهم بما يراه ، و يدركه و يخبر عن صدق ، والحاضرون لايرون شيئا ، كما لايرون الملائكة ولا الروحانيين الذين هم معه فى مجلس واحد ، و مما روى فى الحديث ان الملائكة يحضر مجالس الذكر ، و هم السياحون فى طلب هذه المجالس، فاذا رأوا مجلس الذكر نادى بعضهم بعضا : هلموا الى بغيتكم ، و ليس احد من البشر يدركهم الامن رفعه الله الغطاء عن بصره، فادركهم وهم اهل الكشف،

١٠٩ــ حديد ٤

الم تسمع لقول النبى صلى‌الله عليه و آله للذين يمشون خلف الجنائز ركابا: الا تستحيون الملائكة تمشى على اقدامها فى‌الجنازة و انتم تركبون، و لقوله ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم. فالمؤمن ينبغى ان يعامل الموطن بما يعامله صاحب الكشف والعيان، والا فليس بمؤمن حقا، فان لكل حق حقيقة، و ليست الحقيقة التى لكل حق الا انزاله من منزلة المشهود المدرك للبصر، كما فى‌الحديث المشهور لحارثة الانصارى.

المشهد الحادى عشر

فى‌الكشف عن فعل الشيطان و حقيقته

اعلم: ان حقيقة الشيطان جوهر نفسانى فاعل الشر، مبدأ الغلط فى الاعتقادات، والفسوق و العصيان فى الاعمال، منشأ الوسوسة والمكر و الخديعة، و ارائة اشياء لا حقيقة لها، و ابراز الباطل فى صورة الحق، و ذلك ان ابليس لما تمت حيلته على آدم عليه‌السلام، و وصل بالاذية اليه ما وصل، و نال بغيته و بلغ منيته، و سئل ربه الانظار الى يوم يبعثون، فاجيب الى يوم الوقت المعلوم، اتخذ لنفسه جنة غرس فيها اشجاراً و اجرى فيها انهاراً، ليشاكل بها الجنة التى اسكنها الله آدم، و قاس عليها قياسا مغالطيا، و هندس عليها هندسة فانية مضمحلة لابقاء لها، كما يترأى فى مرآة وقعت فى محاذاة جنات و انهار و ابنية صور خيالية فانية، و جعل فيها مساكن اهله و ذريته و اوليائه، و هى كمثل سراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء، حتى اذا جائه لم يجده شيئا[١١٠]، و ذلك انه كان من الجن، و قد قيل: ان فعل الجن اكثره التخييل والتمثيل ما لا حقيقة له، كذلك فعل ابليس انما هو تمويه و ترويق و مخاريق و تنميق لا حقيقة لها و لاحق عندها، ليصد بها الناس عن الطريق القويم والصراط المستقيم، و بذلك وعد ذرية آدم، كما قال تعالى: يعدهم و يمنيهم و ما يعدهم الشيطان الا غرورا[١١١]، والجنة التى غرسها ابليس لذريته ليصيدوا بها ذرية آدم و يخرجوهم عن جنة ابيهم، هى الامور الدنياوية والشهوات الواهية الدنية، وفعل الخطاء والمآثم

١١٠- نور ٣٩ ١١١- نساء ١٢٠

و ارتكاب المعاصی والمحارم، و حب القنية الفانية واللهو واللعب، والخروج عن طاعةالله والاخلاد الی ارض الدنیا ، و نسیان امورالاخرة و احوالها، والاعراض عن ایات الله و الصمم عن ذکرها ، و اهل الطاغوت و اولياء الشيطان هم المعرضون عن ذکر الله و ملکوته ، والمعتکفون على الدنيا و شهواتها ، الواقعون فی شبكة ابليس ، المقيدون فی حبایله ، فهم فی العذاب مشترکون ، و من برازخ الظلمات لایخرجون[١١٢] ، کما فی قوله : لا تفتح لهم ابواب السماء و لایدخلون الجنة حتی یلج الجمل فی سم الخیاط ، و کذلك نجزی المجرمین ، لهم من جهنم مهاد و من فوقهم غواش ، و كذلك نجزی الظالمين[١١٣] ، و هذه الشبكة المعمولة بحيلة ابليس ، المنصوبة ليقع فيها المغترون بلامع سراب اللذات ، معمولة من محاسن امورالدنيا الواهية، و زخارفها الطبيعية ، و مثالاتها الهيولانية ، فمن مال بكليته اليها، و هجم فيها ، و اقتحم و غرق فی شهواتها ، و انهمك فی لذاتها ، فقد طالت بليته و عظمت رزيته ، و حیل بینه و بین النجاة ، و غلق عليه باب الخلاص عن ربقة هذه الافات .

المشهد الثانی عشر

فی تتمة الاستبصار فی معرفة احوال مبادی الشرور فی هذه الدار

و اعلم ان من علامات اولياءالله و لطائف اسرارهم التی بهما یمتازون عن غیرهم، معرفتهم بحقيقةالملائكة و كيفيةالهامها، ومن دقیق معرفتهم و لطیف علومهم معرفة حقيقة الشياطين و جنود ابلیس اجمعین ، و کیفیة وسواسهم و مسهم کما ذکرالله تعالى بقوله : ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ، و اخوانهم یمدونهم فی الغی ثم لایقصرون[١١٤] .

حكاية فی هذا الباب حکاها ولی من اولیاء الله عن نفسه ، فی کیفیة معرفة مکائدالشیطان و محاربته معه ، و مخالفته جنود ابلیس اجمعین، قال :

١١٢ـ لایبرحون ن ل م ١١٣ـ اعراف ٤٠ و ٤١

١١٤ـ اعراف ٢٠١و٢٠٢

نشأت و تربيت و احكمت من الاداب طرفا ، واخذت من العلوم نصيباً ، واشتغلت بامر المعاش ، و عرفت امر المنافع والمضار ، و علمت ما يجب على من امر الشريعة والناموس ، من الاوامر والنواهي والسنن والفرايض والاحكام والحدود والوعد والوعيد والثواب والعقاب ، ثم اقمت بواجبها جهدى و طاقتي و بحسب ما وقعت و قضى على .

ثم فكرت في قوله تعالى: ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا[١١٥] ، و قوله تعالى : ان الشيطان للانسان عدو مبين[١١٦] ، و ايات كثيرة واحاديث غير يسيرة فى هذا الباب ، و تفكرت ايضا فى قوله صلى الله عليه و آله : رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر، يعنى مجاهدة النفس و تصديقه من جاهد فانما يجاهد لنفسه[١١٧] ، و تفكرت فى قوله صلى الله عليه و آله : لكل عبد شيطانان يغويانه ، و قوله صلى الله عليه و آله : ان شيطانى اعاننى الله عليه فاسلم ، و قوله صلى الله عليه و آله : ان الشيطان ليجرى فى ابن آدم مجرى الدم ، و تصديقه قول الله تعالى : من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة و الناس[١١٨] ، فلما سمعت ما ذكره الله تعالى و ما روى عن رسوله نظرت عند ذلك بعقلى و تفكرت بعلمى، فلم اجد احداً فى هذا الامر يضادنى فى هذا المعنى، ولا يخالفنى ويعادينى من ابناء جنسى، وذلك انى وجدت الخطاب متوجهاً عليهم كلهم، مثل ما هو متوجه على، فعلمت بان هذا امر عام يشمل جميع بنى آدم و يعم كلهم ، ثم تأملت و بحثت و دققت النظر، فوجدت حقيقة معنى الشياطين وكثرة جنود ابليس اجمعين ، و مخالفتهم بنى آدم و وساوسهم اياهم ، هى امور باطنة و اسرار مركوزة فى الجبلة ، مطبوعة فى الخلقة، وهى مبادى الاخلاق الردية، والاراء المذمومة، والجهالات المتراكمة، والاعتقادات الفاسدة ، الحاصلة من غير معرفة ولابصيرة ، ثم لما تأملت و نظرت ، فوجدت الخطاب فى الامر والنهى والوعد والوعيد والمدح والذم متوجها كله على النفس الناطقة ، و وجدتها بما يوصف من الاخلاق الحميدة والمعارف الحقيقية والاعمال الزكية ، ملكا من الملائكة بالاضافة الى نفس الشهوانية

١١٥ـ فاطر ٦
١١٦ـ يوسف ٥
١١٧ـ عنكبوت ٥
١١٨ـ ناس ٤ الى ٦